رسالة

إلى الراغبين في عفو رب العالمين

﴿ وَلْيَعْفُوا ﴾

دراسة موضوعية

إعداد

عائشة السيد محمد السيد حسن

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ بنات القاهرة

ملخص البحث

جاءت دراسة موضوع البحث ، تحت عنوان :

رسالة إلى الراغبين في عفو رب العالمين ﴿وليعفوا﴾
دراسة موضوعية

إعداد

عائشة السيد محمد السيد حسن

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية . بنات القاهرة

أكدت الدراسة على أن التخلّق بخُلق العفو ، سبيل للوصول إلى عفو الله تعالى ، وتناولت الإجابة عن عدة أسئلة حول هذا الموضوع ؛ أهمها : هل العفو دائمًا مطلوب في جميع الأحوال ؛ حتى إذا استمر شخص في الإساءة ، وتمادى في الأذى ؟ وهل كل عفو يكون محمودًا ؟ وما حقيقة العفو الذي دعا إليه الإسلام وحث عليه ؟

هذه الأسئلة وغيرها مما يتعلق بهذا الموضوع ، تناولها البحث بالدراسة ، من خلال بيان مفهوم العفو ، والتفرقة بين العفو والذل ، بما يُسهم في تصحيح مفهوم العفو لدى مَنْ يتصورون أن العفو ضعف وذل . ثم تناولت الدراسة بيان ضوابط وشروط العفو المعتد به ، والذي حث عليه الإسلام ودعا إليه ؛ حتى لا يُتخذ من هذه الفضيلة ذريعة للتجرؤ على الظلم والتمادي في الأذى .

كما تناولت الدراسة ؛ الحديث عن فضل هذا الخُلق وأثره العائد على العافي ، في الدنيا والآخرة ؛ بما يعزز قيمة التخلّق به ؛ مع بيان أثر ذلك على الفرد والمجتمع .

Summary:

The study of the subject of the research came under the title:

A message to those who wish to pardon the Lord of the Worlds "Objective study"

Prepare

Aisha Al Said Mohammed Al Said Hassan

Assistant Professor, Department of Interpretation and Science of The Qur'an

Faculty of Islamic and Arab Studies - Cairo Girls

Abstract

The research topic is entitled: *"A Call to Those Wanting the Forgiveness of the Lord of the Worlds: Let Them Pardon,* An Objective Study". The study emphasizes the manner of forgiveness as a means to attaining God's Forgiveness. It addressed several questions pertaining to the topic, most significantly:

Is forgiveness always required regardless of the circumstances, even if it leads the offender to continue harming and inflicting damage? Is forgiveness always commendable? What is the meaning of forgiveness from the Islamic perspective?

These questions, among others, form the topic of this study. It thoroughly explores the meaning of forgiveness, drawing a distinctive line between forgiveness and humiliation, thus dispersing the misconception confusing one for the other. Then, it tackles the criteria and conditions for the rightful forgiveness that Islam encourages and calls for, so that no one would abuse the term as an excuse to wrong others or escalate their offence. The study also maintains the virtue of this manner and its effect on the forgiver, both in this life and the afterlife, the case which should encourage abiding by it, with a glimpse of the overall impact on the individual and the society.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمـــــــــة

الحمد لله العَفُوُّ الغفور ، الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وصلاة وسلامًا على من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الهادي الأمين ، ورضي الله عن الصحابة ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،

وبعـد .. ..

فإن العفو من مكارم الأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم ودعا إليها ، في العديد من الآيات ؛ لما له من أثر في صفاء النفوس ، وتقوية المودة بين القلوب ، فضلاً عن دوره في إصلاح كثير من العلاقات الاجتماعية ؛ ولما يترتب على غيابه عن علاقاتنا ومعاملاتنا من صراعات ونزاعات ، تنتهي أحيانًا بقطع الصلة بين أفرادٍ لأسرة واحدة !

ومن هنا كان سبب اختياري للكتابة في هذا الموضوع .

ـ سبب اختيار الموضوع :

سبب اختيار الكتابة في هذا الموضوع : ما أشاهده في الواقع من فساد كثير من العلاقات الاجتماعية ، السبب في فسادها : عدم القدرة على العفو، فمن المؤسف أن يكون السبب في كثير من حالات الطلاق في المجتمع : عدم قدرة أحد الزوجين على العفو عن الآخر . ومن المؤسف أيضًا أن نرى قطيعة للأرحام ، وعقوقًا للآباء ، بسبب عدم القدرة على العفو . فضلاً عن كثير من النزاعات والصراعات والقضايا بين مختلف الأفراد .

وبنظرة تأمل في هذا الواقع ، وجدت هذا السؤال يجول بخاطري : كيف يرجو الإنسان عفو الله تعالى ومغفرته ، في حين لا يعفو هو ولا يغفر لغيره؟

ومن هذا السؤال كانت الفكرة في كتابة هذا البحث ، فبدأت بجمع آيات العفو ، وأثناء قراءتي لهذه الآيات ، توقفت عند قوله تعالى : ﴿...**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ...﴾ [1] توقفت عند هذه الآية بتأمل وتدبر يختلف عن قراءتي لها من قبل ، حيث شعرت هذه المرة ، أن هذه الآية رسالة ؛ رسالة من الله تعالى إلى كل راغب في عفوه عز وجل . رسالة واضحة تفيد أن من يرغب في عفو الله تعالى ؛ فليعف عن الناس ، ومع التأمل والتدبر في الآية الكريمة ؛ عزمت على الكتابة في هذا الموضوع ، وآثرت أن يكون العنوان :

رسالة إلى الراغبين في عفو رب العالمين ﴿ وليعفوا ﴾

دراسة موضوعية

ثم حددت الأهداف من دراسة هذا الموضوع .

ـ أهداف دراسة الموضوع :

١ ـ تحديد مفهوم العفو ، والتفرقة بين العفو والذُل ، بما يُسهم في تصحيح مفهوم العفو لدى بعض الناس ، حيث يفهم بعض الناس العفو فهمًا خاطئًا مغلوطًا ، حين يتصورون أن العفو ضعف .

---

(١) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

٢ ـ بيان ضوابط وشروط العفو المعتد به ، والذي حث عليه الإسلام ودعا إليه ؛ حتى لا يُتخذ من هذه الفضيلة ذريعة للتجرؤ على الظلم والتمادي في الخطأ .

٣ ــ تقدير وبيان فضل هذا الخُلق وأثره العائد على العافي ، في الدنيا والآخرة .

٤ ـ تعزيز قيمة تطبيق هذا الخُلق في حل كثير من مشكلاتنا الاجتماعية ، وتقوية علاقاتنا ، خاصة العائلية والأسرية .

٥ ـ توضيح أثر العفو على الفرد والمجتمع .

ـ خطة البحث :

أما عن خطة الكتابة في هذا الموضوع فهي على النحو التالي :

تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

ـ المقدمة :

وفيها سبب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، والمنهج المتبع في هذا البحث .

ـ التمهيد :

حول قول الله تعالى : ﴿ **وَلْيَعْفُوا** ﴾.

ويتضمن التعريف بالآية الكريمة موضوع البحث ، مع شرح إجمالي للمعنى الذي تضمنته الآية .

ـ المبحث الأول : تعريف العفو.

ـ **المبحث الثاني** : ضوابط العفو .

ـ **المبحث الثالث** : فضل العفو والحث عليه .

ـ **المبحث الرابع** : أثر العفو على الفرد والمجتمع .

ـ **الخاتمـة** : وتشتمل على :

ـ أهم نتائج وتوصيات البحث .

كما تشتمل على :

ـ فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في كتابة هذا البحث.

ـ فهرس لموضوعات البحث .

أما عن منهج الدراسة في هذا البحث ، فهو كالتالي :

ـ منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي ، الذي يعتمد على تتبع وقراءة كل ما يتعلق بموضوع البحث ، مع الاستنباط والتحليل لجزئيات البحث .

ومن خلال هذا المنهج ، كانت أهم خطوات العمل في هذا البحث على النحو التالي :

١ ـ جمع الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع البحث .

٢ ـ جمع ما تيسر جمعه من أقوال للعلماء في هذا الموضوع .

٣ ـ تتبع معاني العفو في اللغة وفي آيات القرآن الكريم .

٤ ـ تقسيم الموضوع إلى عناصر ، مع حصر ما يتعلق بكل عنصر من آيات وأحاديث وأقوال للعلماء ، وعرض ذلك بشكل مترابط ، يُتيح عرض جميع الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع .

٥ ـ الاعتماد على ما تيسر لي الرجوع إليه من أُمهات الكتب ، مع الاستعانة بالمراجع الحديثة التي يُستفاد منها في دراسة هذا الموضوع .

٦ ـ توثيق النقول ، بنسبتها إلى مصادرها ، مع الإشارة إلى التصرف فيها ، إن تم التصرف في النص المنقول . ومع مراعاة التدرج في التوثيق من الأقدم إلى القديم ، ثم إلى الحديث . وترتيب المراجع حسب ذلك بالهامش .

٧ ـ الاكتفاء بذكر بيانات المرجع الخاصة بجهة طبعه أو نشره ، وتاريخ الطبعة ، عند ذكره للمرة الأولى فقط .

٨ ـ عزو الآيات القرآنية الكريمة المُستشهد بها في البحث إلى سورها ، بإثبات رقم الآية ، واسم السورة بالهامش في نهاية الصفحة .

٩ ـ عند الاستشهاد بجزء من الآية ، يوضع عدة نقط (.. .) قبل الجزء المستشهد به وبعده ، أو قبله فقط ، أو بعده فقط . حسب موضع الجزء المستشهد به من الآية ، وذلك للإشارة إلى أن هذا جزء آية ، وليس آية كاملة والأمر كذلك عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة .

١٠ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة .

١١ . بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلى توضيح بالهامش .

١٢ ـ التعريف لبعض الأعلام ، التي تحتاج إلى توضيح .

١٣ ـ وضع هامش كل صفحة أسفل نفس الصفحة لتيسير الرجوع إلى الهامش .

١٤ ـ تذييل البحث بخاتمة ، تشتمل على أهم نتائج البحث ، كما تشتمل على فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث، وفهرس لموضوعات البحث ، وذلك لتيسير الرجوع إلى ما اشتمل عليه البحث .

وبعد .. .

أسأل الله تعالى أن يرزقني قدرة العفو عمن أساء إليَّ ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل ، وأن ينفع به ويغفر لي ما به من خطأ وقصور . إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عائشة السيد محمد

ـ تمهيـــد :

حول قول الله تعالى : ﴿ .. . وَلْيَعْفُوا .. . ﴾ :

قوله تعالى : ﴿... **وَلْيَعْفُوا** ...﴾ : جزء آية قرآنية كريمة من سورة النور ، وهي : قوله تعالى : ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ .

ـ التعريف بالآية :

الآية الكريمة ، هي الآية رقم : (٢٢) من سورة النور . وسورة النور من السور المدنية [١] ، التي اشتملت على كثير من الآداب والفضائل والأحكام ؛ التي تُضئ الحياة لمن اهتدى بها .

ومن هذه الآداب والفضائل : ما تضمنته هذه الآية الكريمة ، التي تحث على التخلق بخُلق العفو ، من خلال بيان فضله وأثره العظيم ؛ العائد إلى العافي ، وهو أنه بعفوه عمن أساء إليه ؛ ينال عفو الله تعالى ومغفرته .

ـ معنى الآيــة :

يتضح معنى هذه الآية الكريمة من خلال بيان سبب النزول .

---

(١) البرهان في علوم القرآن . تأليف : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ١٩٤ . الناشر : دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركائه . الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م ، الإتقان في علوم القرآن . تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٤١ . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة : ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

ـ سبب نزول الآية :

نزلت هذه الآية الكريمة ـ كما ثبت في الصحيح ـ ، في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حين حلف ألا ينفق على مِسْطَح بن أُثَاثَة ، وهو ابن خالة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ . وكان أبو بكر ينفق عليه لقرابته منه وفقره . وكان مِسْطَح ممن تكلم ؛ مع مَنْ تكلم في شأن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالإفك . فلما نزلت براءة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ حلف أبو بكر ألا ينفق على مِسْطَح ولا ينفعه بنافعة أبدًا ، بعدما رمي السيدة عائشة بالإفك ، فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ...** ﴾ [١] الآية إلى قوله تعالى : ﴿... **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٢] .

ومعنى ﴿**يَأْتَلِ**﴾ : يحلف ؛ من آليت ، أي : حلفت . ومنه قوله تعالى : ﴿ **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ .. .** ﴾ [٣] .

والمعنى على هذا : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ** ﴾ أي : لا يحلفوا على ألا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان .

وقيل معنى (يأتل) : يُقصر ، من ألوت في كذا ، إذا قصرت فيه .

ومنه : لم آلُ جهدًا ، أي : لم أُقصر ، ومنه قوله تعالى : ﴿... **لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا .. .** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

(٢) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

(٣) سورة البقرة : جزء آية : ٢٢٦ .

(٤) سورة آل عمران : جزء آية : ١١٨ . ومعنى ﴿ **لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا** ﴾ : لا يقصرون في إفسادكم . [يُراجع : التسهيل لعلوم التنزيل . تأليف : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي . تحقيق: د . عبد الله الخالدي ١/ ١٦٣ . الناشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ] .

والمعنى على هذا : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ** ﴾ أي : لا يُقصروا في أن يحسنوا إلى المستحقين للإحسان [١] .

وقوله تعالى: ﴿...**أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ**...﴾ [٢] : تمثيل وحجة، أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم ، فكذلك اغفروا لمن دونكم [٣] .

فلما نزلت هذه الآية الكريمة ، قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجَّع إلى مِسْطَح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : " والله لا أنزعها منه أبدًا " [٤] .

---

(١) يُراجع : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تأليف : الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٣/ ٢١٦ . ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) . تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي . تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ١٢/ ٢٠٨ . الناشر : دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، فتح القدير . تأليف : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ٤/ ١٩، ٢٠. الناشر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ـ دمشق ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٢) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٨ .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه . كتاب الشهادات . باب : تعديل النساء بعضهن بعضًا . حديث رقم: (٢٦٦١) ٣/١٧٣ ـ ١٧٥ ، كما أخرجه في كتاب المغازي . باب : حديث الإفك . حديث رقم : (٤١٤١) ٥/ ١١٦ ـ ١١٩ ، وفي كتاب : تفسير القرآن (سورة النور) . باب : ﴿ **لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّـهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [سورة النور : الآيات : ١٢ ، ١٣] حديث رقم : (٤٧٥٠) ٦/ ١٠١ ـ ==

وهذا الموقف من الصديق ـ رضي الله عنه ـ ، يدل على مدى إدراكه للمعنى الذي اشتملت عليه هذه الآية الكريمة ، وفهمه لهذه الرسالة التي

==

١٠٤ ، وفي موضع آخر من كتاب التفسير (سورة النور) . باب : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّـهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [سورة النور : الآيات : ١٩ ، ٢٠] ، وقوله : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة النور : آية : ٢٢] . حديث رقم : (٤٧٥٧) ٦/١٠٦ ـ ١٠٨، وأخرجه في كتاب الأيمان والنذور . باب : اليمين فيما لا يملك ، وفي المعصية وفي الغضب . حديث رقم : (٦٦٧٩) ٨/ ١٣٨ .

[يُراجع : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) . تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر : دار طوق النجاة . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ] ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه . كتاب : التوبة . باب : في حديث الإفك وقبول توبة القاذف . حديث رقم : (٢٧٧٠/ ٥٦) ٤/ ٢١٢٩ ـ ٢١٣٦. [يُراجع : المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ . تأليف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت] . وذكره الواحدي في أسباب النزول ص: ٣١٨ ــ ٣٢٣ . [يُراجع : أسباب نزول القرآن . تأليف : أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي . تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان . الناشر : دار الإصلاح . الدمام . الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م] .

تضمنتها ؛ وهي أن عفو الإنسان عن غيره : سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى .

وهذه رسالة إلى كل راغب في عفو الله عز وجل ، فمن المعلوم ، أن جمهور العلماء، على أن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب [١]. فالآية وإن نزلت في شأن هذا الموقف من الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلا أنها عامة ؛ تتناول الأمة إلى يوم القيامة [٢] ، بهذه الرسالة المرغبة في التخلق بخُلق العفو ، الذي هو سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى ومغفرته .

ـ المناسبة بين هذه الآية ، وما قبلها :

ومن الجدير بالذكر : أن هذه الآية الكريمة التي تحث على العفو وتدعو إليه ، سُبقت بما يُمهد لهذا الأمر ويهيئ النفوس لتلقيه وتقبله ؛ لأن الخالق سبحانه وتعالى ، العليم بطبائع البشر ، يعلم أن من النفوس ؛ من يشق عليها أمر العفو وتستعظمه ، وتستثقله . لذا ، جاءت الآية السابقة على هذه الآية ، بمثابة تمهيد وتهيئة للنفوس لتقبل هذا الأمر ، وذلك في قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾** [٣] .

---

(١) يُراجع : الإتقان في علوم القرآن ، للإمام السيوطي ١/ ١١٠ ، مناهل العرفان في علوم القرآن . تأليف : محمد عبد العظيم الزرقاني ١/ ١٢٦ . الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٧ (بتصرف) .

(٣) سورة النور : آية : ٢١ .

والمراد بخطوات الشيطان : طرائقه ومسالكه ووساوسه ، وما يأمر به . والمعنى : لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان ، ولا تسمعوا لوساوسه ، فإن من يتبع خطوات الشيطان يقع في المعصية ؛ لأن الشيطان لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر [1] .

والفحشاء : ما اشتد قبحه . والمنكر : ما ينكره الشرع ، وتنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه [2] .

([1]) يُراجع : تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٦ ، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي . تحقيق : محمد حسين شمس الدين ٦/ ٢٨ . الناشر: دار الكتب العلمية . منشورات محمد علي بيضون ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . تأليف : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ١٨/١٨٣ . الناشر : دار الفكر المعاصر . دمشق . الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

([2]) يُراجع : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) . تأليف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٢٣/٣٤٧ . الناشر : دار إحياء التراث العربي . بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) . تأليف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي . حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف على بديوي . راجعه وقدم له : محيي الدين ديب مستو ٢/ ٤٩٥ . الناشر : دار الكلم الطيب . بيروت . الطبعة الأولى : ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، فتح القدير للشوكاني ٤/١٧، التفسير المنير ١٨/ ١٧١ .

وعن قتادة [١] : كل معصية ، فهي من خطوات الشيطان [٢] .

وفيمن خُوطب بهذا قولان :

أحدهما : أنه عام في الخلق . **والثاني** : أنه خاص للمتكلمين في الإفك [٣].

وقد سبقت الإشارة إلى أن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب، عند جمهور العلماء . وعلى هذا ، فالآية على العموم ، والخطاب يعم جميع

([١]) قتادة بن دعامة السدوسي البصري التابعي. مفسر حافظ. توفى سنة: ١١٨هـ.
[يُراجع : تهذيب الأسماء واللغات . تأليف : أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي ٢/ ٥٧ ، ٥٨ . الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، تذكرة الحفاظ . تأليف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ١/ ٩٢، ٩٣ . الناشر دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى : ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، الأعلام . تأليف : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ٥/ ١٨٩ . الناشر : دار العلم للملايين . الطبعة الخامسة عشر . مايو ٢٠٠٢م] .

([٢]) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٨ .

([٣]) يُراجع : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) . تأليف : محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي. تحقيق : عبد الرزاق المهدي ٣/٣٩٥ . الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، زاد المسير في علم التفسير . تأليف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . ٣/٢٨٥ . الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

المكلفين . فهو نهي لكل المكلفين ؛ وإن خص به المؤمنين . وخص المؤمنين بالذكر ؛ ليتشددوا في ترك المعصية [١] .

وبهذا النهي عن اتباع مسالك الشيطان التي يحمل الإنسان على سلوكها بتزيينها له ؛ يُذكر الله تعالى عباده ، بأن كل إنسان يفتقر إلى عفو الله تعالى ومغفرته. فما من أحد ، إلا وللشيطان إليه مداخل يزينها له؛ للوقوع في المعصية. وما من أحد، إلا ويحمل من الذنوب والمعاصي، ما يحتاج به إلى العفو والمغفرة، ولولا فضل الله عز وجل على عباده بعفوه تعالى عنهم ، ومغفرته التي يستر بها ذنوبهم ؛ ما زكى منهم من أحد أبدًا، كما أوضحت الآية الكريمة، في قوله تعالى : ﴿... **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا** .. . ﴾ [٢] .

وفي هذا تنبيه للعباد إلى قيمة العفو الذي يفتقر إليه جميع الخلق .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ **مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا** ﴾ : ما طهر وما صلح منكم من أحد أبدًا [٣] .

أي ما طهر باطنه بالطهارة من المعاصي ، ولا صلح ظاهره في أعين مَنْ حوله . وكم من مذنب ستره الله تعالى ومَنَّ عليه بالعفو والمغفرة ، فصلح ظاهره في أعين الناس .

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي (مفاتيح الغيب) ٢٣/ ٣٤٧ (بتصرف) .

(٢) سورة النور : جزء آية : ٢١ .

(٣) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) . تأليف : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ٢/ ٥٠٤ .الناشر : دار الفكر . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

وما أجمل ما قاله أبو العتاهية [١] في هذا المعنى ! حين قال :

يظن الناس بي خيرًا وإني ☆☆ لشرّ الناس إن لم تعف عني [٢]

([١]) أبو العتاهية : هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العيني المعروف بأبي العتاهية . الشاعر المشهور . ولد في سنة ثلاثين ومائة ، وأصله من (عين التمر) بقرب الكوفة . ونشأ بالكوفة ، ثم سكن بغداد وعمل الشعر في المدح والهجاء والغزل ، ثم تنسك وصار يقول في الوعظ والزهد . وله في الزهد أشعار كثيرة . توفى ببغداد سنة ٢١١ ، وقيل سنة ٢١٣هـ . =

=[يُراجع : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تأليف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي . تحقيق: إحسان عباس ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٦ . الناشر : دار صادر . بيروت . تاريخ الطبعة : ١٩٠٠م ، لسان الميزان . تأليف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق : دائرة المعارف النظامية . الهند ١/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩ . الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ، الأعلام للزركلي ١/ ٣٢١] .

([٢]) نُسب هذا البيت إلى أبي العتاهية في : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ٤٢٥/٢ . الناشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص . تأليف : عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٢٩٧ . الناشر : عالم الكتب . بيروت .

ونُسب إلى الإمام علي في : مجاني الأدب في حدائق العرب . تأليف : رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ٢/ ١٠ . الناشر : مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت . عام النشر : ١٩١٣م . وذُكر هذا البيت دون نسبة في كتاب : ربيع الأبرار ونصوص الأخيار . تأليف : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٢/ ١٦١ . الناشر : مؤسسة الأعلمي ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

وكذا ، ما قاله بعض الصالحين : كم لي من ذنب ، لو عرف به الصديق لمقتني . ولو عرف به العدو لهتكني [١] .

فما من أحدٍ ؛ إلا ويفتقر إلى عفو الله تعالى ، ولو تذكر الإنسان دائمًا حاجته إلى عفو الله تعالى ؛ لعفى عن كل مَنْ أساء إليه . ولو تذكر فضل الله عليه بالعفو ، لتفضل بالعفو على غيره .

وبهذا المعنى، استثارت الآية الكريمة في النفوس ، التفكر والتدبر في قيمة العفو، والتفكر في حال الإنسان المفتقر دائمًا إلى عفو الله تعالى . وفي هذا تهيئة للنفوس للاستجابة إلى تقبل الحث على العفو في الآية التالية لهذه الآية، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [٢] .

فقد أرشدت هذه الآية الكريمة إلى سبيل الراغبين في عفو رب العالمين ، حيث تضمنت الآية الكريمة رسالة موجزة إلى كل راغب في عفو الله تعالى ، مفاد هذه الرسالة : أن من يرغب في عفو الله تعالى ، فليعف عن الناس . وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى ، في الآية الكريمة : ﴿... **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ** ...﴾ .

وما أجمل قول الإمام فخر الدين الرازي عن هذه الآية ! حيث قال عند تفسيره لهذه الآية الكريمة :

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/ ٤٢٥ .

(٢) سورة النور : آية : ٢٢ .

" العفو والصفح عن المسيئ حسن مندوب إليه ، وربما وجب ذلك . ولو لم يدل عليه إلا هذه الآية لكفى ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ فعلَّق الغفران ؛ بالعفو والصفح " [1] .

هذا ، وفي التعبير بقوله تعالى : ﴿ **وَلْيَعْفُوا** ﴾ ما يعمق ويقوي ويُحرك هذا المعنى في النفوس ، حتى يصير خلق العفو قيمة وطاقة متجددة باعثة وفاعلة ومؤثرة في حياة الإنسان . لا مجرد قيمة ثابتة راسخة متمكنة في النفس دون تأثير . حيث أفاد التعبير بقوله تعالى : ﴿**وَلْيَعْفُوا**﴾ بصيغة المضارع الدال على التجدد والاستمرار : تجديد العفو كلما تجدد ما يستدعي العفو ، من إساءات الناس وأذاهم ، حتى يصير العفو بالتجدد والاستمرار ؛ خُلقًا معتادًا وطبيعة حيوية .

وإذا أُضيف إلى ما أفاده التعبير بالمضارع ، ما أفادته اللام الداخلة عليه : أدركنا دلالة هذا التعبير في تقوية وتحريك هذا المعنى في النفوس ، حيث إن اللام في قوله تعالى : ﴿**وَلْيَعْفُوا**﴾ هي لام الأمر [2] . ولام الأمر : هي التي يُطلب بها حصول الفعل . وأكثر ما تدخل على الغائب ، فتكون له

---

(1) تفسير الرازي ٢٣/ ٣٥٢ .

(2) يُراجع : الجدول في إعراب القرآن الكريم . تأليف : محمود بن عبد الرحيم صافي ١٨/ ٢٤٥ . الناشر : دار الرشيد . دمشق ، مؤسسة الإيمان . بيروت . الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ ، إعراب القرآن وبيانه . تأليف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٦/ ٥٨٦ . الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية . حمص ـ سورية ، دار اليمامة . دمشق ـ بيروت ، دار ابن كثير . دمشق ـ بيروت . الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ .

بمنزلة فعل الأمر للمخاطب [1] ، كما في قوله تعالى : ﴿**وَلْيَعْفُوا**﴾ . وهذا الأمر ؛ إنما هو للحث على سلوك هذا السبيل المؤدي إلى غفران رب العالمين .

ولا يخفى ما أفادته (ألا) في قوله تعالى : ﴿.. **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** .. . ﴾ [2] من الحض على ذلك ، والحث عليه . وإلى جانب هذه الصيغ والأساليب التي اجتمعت في الآية الكريمة ؛ لإفادة الحث والحض على العفو ، بما يقوي هذا المعنى في النفوس . نجد الآية الكريمة تُرَّغب في العفو بأسلوب يُخاطب الوجدان : ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ . فمن منا لا يحب أن يغفر الله له ؟

لا شك أن الجميع يُجيب على ذلك بما أجاب به الصديق رضي الله عنه: بلى يا رب نحب أن تغفر لنا .

فالكل يرجو عفو الله تعالى ويرغب فيه . وبهذا الأسلوب الذي يمس الوجدان ويحرك في النفس الخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة ، نجد هذه الآية الكريمة تجعل الإنسان يُسلم نفسه ، عن طواعية واختيار إلى اختيار العفو .

والسؤال الآن :

ما هو العفو الذي دعا إليه القرآن الكريم ورغب فيه ، وحث عليه في هذه الآية وغيرها من الآيات ، وكذا دعا إليه الرسول الكريم ﷺ في العديد من الأحاديث ؟

([1]) الموجز في قواعد اللغة العربية . تأليف : سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ٨٨/١ . الناشر: دار الفكر. بيروت ـ لبنان . تاريخ الطبعة: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

([2]) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

والإجابـة على هذا السؤال تقتضي بيان حقيقة العفو .

لكن ، قبل الحديث عن حقيقة العفو ، لا بد أولاً من تعريف العفو ، ببيان معناه لغة ، واصطلاحًا ، وبيان معاني العفو في القرآن الكريم ، والعلاقة بين العفو والصفح والمغفرة .

المبحث الأول

تعـــــــريف العفـــو

معنى العفو لغـــة :

كلمة العفو في اللغة ، تدور حول معنى التَّرْك ؛ ذلك أن أصل الكلمة : (عفو) العين ، والفاء ، والواو. أصل معناه التَّرْكُ ، وعليه تدور معانيه، فيُفَسَّرُ في كل مقام بما يناسبه ، من تَرْكِ عقاب ، أو عدم إلزام .

فالْعَفْوُ : عَفْوُ الله ــ تعالى ــ عن خلقه ، وذلك تَرْكُهُ إياهم فلا يعاقبهم ، فضلاً منه ـ تعالى ـ ، والْعَفُوُّ على فَعُولٍ : الْكَثِيرُ الْعَفْوِ .

وكل من استحق عقوبة فَتَرَكْتَهُ ، فقد عَفَوْتَ عنه .

وقد يأتي الْعَفْوُ بمعنى التَّرْكِ ، لا عن استحقاق ، وإنما يكون عن عدم إلزام ، كما في قول النبي ﷺ : ((... عَفَوْتُ عنكم عن صدقة الخيل...))[1].

([1]) جزء حديث ، أخرجه الإمام الترمذي في سننه . أبواب الزكاة . باب : ما جاء في زكاة الذهب والورق .حديث رقم : (٦٢٠) ٣/ ٧ . [سنن الترمذي . تأليف : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى . تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض . الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر . الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م] ، وأخرجه ابن ماجة في سننه . كتاب الزكاة . باب : زكاة الورق والذهب . حديث رقم : (١٧٩٠) ١/ ٥٧٠ . [سنن ابن ماجة . تأليف : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسى البابي الحلبي] ، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، من مسند على بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ . حديث رقم : (٩٨٤) ٢/ ٢٨٢ ، وحديث رقم : (١٠٩٧) ٢/ ٣٣٤ ، وحديث رقم : (١٢٤٣) ٢/ ٤٠١ . [مسند الإمام أحمد بن حنبل . تأليف : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد وآخرون . ==

فليس الْعَفْوُ ها هنا عن استحقاق ، ومعناه : تركت أن أُوجب عليكم الصدقة في الخيل .

والْعَافِيَةُ : دفاع الله ـ تعالى ـ عن العبد المَكارِه . والاسْتِعْفَاءُ : أن تطلب إلى من يكلفك أمرًا أن يُعْفِيَكَ منه ، أي يتركك .

وأما عَفَا بمعنى : دَرَسَ ، فهو من هذا ، وذلك أنه شيء يُترك فلا يُتَعَهَّدُ ولا يُنْزَلُ ، فيَخْفَي على مرور الأيام .

وعَفَا الشعر والنبت وغيرهما : كَثُرَ . ومنه قوله تعالى : ﴿ .. . **حَتَّىٰ عَفَوا**... ﴾ [1] أي كثروا . يُقال: عَفَوْتُ الشعر، وعَفَيْتُهُ ، لغتان . وذلك إذا تركته حتى يَكْثُر ويَطُولَ . ومنه: قول الرسول ﷺ : ((... أَعْفُوا اللِّحَى))[2].

أما القول بأن عَفَا من الأضداد ؛ لأن عَفَا بمعنى : دَرَسَ ، أي :

مُحي وخَفي ، من عفت الريح الأثر ، أي درسته ومحته . وعَفَا بمعنى : كَثُرَ . فهذا القول ليس بشيء ؛ إنما المعنى يدور حول التَّرْك ؛ لأن الشيء إذا تُرك ولم يُتعَهد حتى دَرَسَ ، أي : خَفِيَ على مر الدهر ، فقد عَفَا . وإذا تُرك حتى كَثُر ، فقد عَفَا . والأصل فيه كله الْتَّرْك .

والْعَفْوَ : الْمَعْرُوفُ .

==

إشراف : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م] . وإسناده حسن .

(1) سورة الأعراف : جزء آية : ٩٥ .

(2) جزء حديث ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه . كتاب اللباس . باب : إعفاء اللحي . حديث رقم : (٥٨٩٣) ٧/ ١٦٠ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه . كتاب الطهارة . باب : خصال الفطرة . حديث رقم : (٢٥٩/ ٥٢) ١/ ٢٢٢ .

والْعُفَاة : طُلاَّبُ الْمَعْرُوف، وهم الْمُعْتَفُونَ أيضًا . يُقال : اعْتَفَيْتُ فلانًا : إذا طلبت معروفه وفضله . فإن كان الْمَعْرُوفُ هو الْعَفْوُ ، فإن أصله يرجع إلى معنى التَّرْك أيضًا ، وذلك أن الْعَفْو هو الذي يُسْمَحُ به، ولا يُمْسَكُ عليه [1].

([1]) يُراجع : كتاب العين . تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري . تحقيق : د . مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ٢٥٨/٢ ــ ٢٦٠ . الناشر : دار ومكتبة الهلال ، جمهرة اللغة . تأليف : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . تحقيق : رمزي منير بعلبكي ٢/ ٩٣٨ . الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، تهذيب اللغة . تأليف : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور . تحقيق : محمد عوض مرعب ٣/ ١٤١ ــ ١٤٦ . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . تأليف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ٢٤٣١/٦ ـ ٢٤٣٣ . الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، معجم مقاييس اللغة . تأليف : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين . تحقيق: عبد السلام محمد هارون ٤/ ٥٦ ـ ٦٢ . الناشر : دار الفكر . عام النشر : ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، لسان العرب . تأليف : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ٧٢/١٥ ــ ٧٩ . الناشر: دار صادر . بيروت. الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . تأليف : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس ٢/ ٤١٩ . الناشر : المكتبة العلمية ـ بيروت ، القاموس المحيط . تأليف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي . تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة . بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي ١٣١٣/١ . الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ـ لبنان . الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ، تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض . الملقب بمرتضى الزبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين ، ٦٧/٣٩ ـ ٧٥ . الناشر: دار الهداية .

وبهذا يتضح أن مادة (ع فـ و) في اللغة تدور حول معنى التَّرْك . وهذا التَّرْكُ يُفسر في كل مقام بما يُناسبه .

ـ معنى العفو اصطلاحاً :

معنى العفو في الاصطلاح ، لا يبعد عن معنى العفو في اللغة ، حيث ورد العفو في اصطلاح العلماء بمعنى :

التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه [1] . وهذا المعنى لا يخرج عن المعنى اللُّغَوِيّ للعفو ، فهو من معاني العفو في اللغة .

وهذا المعنى هو المعنى المراد بالعفو موضوع هذا البحث . وهو أحد معاني العفو في القرآن الكريم .

ـ معاني العفو في القرآن الكريم :

وردت كلمة العفو ومشتقاتها في القرآن الكريم في عدة مواضع ، وفق المعاني الآتية :

---

(1) يُراجع : فيض القدير شرح الجامع الصغير . تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري ٣/ ٢٨٤ . الناشر : المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر . الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي . تأليف : أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ١/ ٤٤٠ ، ٦/ ١٢١ ، ١٠ /٣ . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . تأليف : أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري ٨/ ٢٥٤ . الناشر : إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الجامعة السلفية ـ بنارس الهند . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١ ـ العفو بمعنى الترك :

ويدخل في معنى الترك معنيان :

أ ـ العفو بمعنى ترك العقاب ، والتجاوز عن الذنب . كما جاء في قوله تعالى ؛ في سياق تذكير بني إسرائيل بنعمة عفوه تعالى عنهم ، مع جحودهم وكفرهم وعبادتهم لغيره عز وجل : ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [١] . فقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم** ﴾ معناه : تركنا معاجلتكم بالعقوبة [٢] .

وكما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [٣] ، فقوله تعالى : ﴿ **وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ أي من الذنوب ، فلا يعاقب عليه. أو : عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة[٤].

وبهذا المعنى ورد العفو في العديد من آيات القرآن الكريم .

ب ـ العفو بمعنى ترك حق من المال بلا عوض. كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا**

---

(١) سورة البقرة : الآيات : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن . تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري . تحقيق : أحمد محمد شاكر ٢/ ٦٩ . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

(٣) سورة الشورى : آية : ٣٠ .

(٤) تفسير النسفي ٣/ ٢٥٦ .

فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ .. . ﴾ [١] ، فقوله تعالى : ﴿ **يَعْفُونَ** ﴾ معناه : يتركن .

والمعنى : إلا أن يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج [٢] .

٢ ـ العفو بمعنى الفضل :

ويدخل في معنى الفضل معنيان :

أ ـ العفو بمعنى الفضل والزيادة عن الحاجة من المال .

كما جاء في قوله تعالى: ﴿**...وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**...﴾ [٣].

فالعفو في هذه الآية الكريمة معناه : الفضل من المال . والمعنى : أنفقوا ما فَضَلَ عن حوائجكم [٤] . أي ما زاد عليها .

ب ـ العفو بمعنى الفضل الذي يجيء بغير تكلف ، من الأخلاق والأعمال . وهو الفضل الذي ضد الجهد والمشقة .

ومن هذا ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ .. .** ﴾ [٥] .

فالعفو هنا : الفضل والصفو الذي تهيأ دون حرج . وهو ضد الجهد .

---

(١) سورة البقرة : جزء آية : ٢٣٧ .

(٢) تفسير القرطبي ٣/ ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٣) سورة البقرة : جزء آية : ٢١٩ .

(٤) يُراجع : تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ١/ ١٤٥ ، تفسير القرطبي ٣/ ٦١ ، تفسير النسفي ١/ ١٨٣ .

(٥) سورة الأعراف : جزء آية : ١٩٩ .

والمعنى : اقبل من الناس في أخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم ومعاشرتهم ؛ ما أتى منهم عفوًا ميسورًا دون تكلف ، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا [١] .

٣ ـ العفو بمعنى الكثرة :

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [٢] .

فقوله تعالى:﴿ **حَتَّىٰ عَفَوا** ﴾ معناه : حتى كَثُروا وكَثُرَت أموالُهُم وأولادُهُم[٣].

وكل هذه المعاني ، ترجع إلى المعنى الأصلي للعفو ، وهو الترك .

---

(١) يُراجع : الكشاف ٢/ ١٨٣ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٢/ ٤٩٠ . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، تفسير النسفي ٦٢٦/١ .

(٢) سورة الأعراف : الآيات : ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) يُراجع : تفسير الطبري ٥٧٣/١٢ ، ٥٧٥ ، تفسير البغوي ٢٥٩/٣ ، الكشاف ١٢٧/٢ ، زاد المسير ١٤٠/٢ ، تفسير القرطبي ٢٥٢/٧ ، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، تأليف : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي . تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ٢٥/٣ . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٣ .

هذا ، وبتتبع آيات العفو في القرآن الكريم ، نجد أن العفو اقترن بالصفح في بعض الآيات ، واقترن بالمغفرة في بعض الآيات . واقترن بالصفح والمغفرة معًا في آية واحدة في القرآن الكريم .

ـ **فقد اقترن العفو بالصفح** في قوله تعالى : ﴿ .. . **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّـهُ بِأَمْرِهِ** .. . ﴾ [١] .

وفي قوله تعالى: ﴿.. . **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿... **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ** ...﴾ [٣] .

ـ **واقترن العفو بالمغفرة** في قوله تعالى : ﴿ .. . **وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا**...﴾ [٤] .

وفي قوله تعالى : ﴿ .. . **إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ .. . **وَكَانَ اللَّـهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [٦] .

ـ **واقترن العفو بالصفح والمغفرة معًا** ، في آية واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿... **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٧] .

---

(١) سورة البقرة : جزء آية : ١٠٩ .

(٢) سورة المائدة : جزء آية : ١٣

(٣) سورة النور: جزء آية : ٢٢ .

(٤) سورة البقرة : جزء آية : ٢٨٦ .

(٥) سورة النساء : جزء آية : ٤٣ .

(٦) سورة النساء : جزء آية : ٩٩ .

(٧) سورة التغابن : جزء آية : ١٤ .

وهذا ما يدعو إلى التأمل في العلاقة بين هذه المفردات : العفو ، الصفح، المغفرة .

* * *

ـ العلاقة بين العفو والصفح والمغفرة :

قبل بيان العلاقة بين العفو والصفح والمغفرة ، لا بد من بيان الفرق بين هذه المفردات ؛ حتى تتضح العلاقة بينها . وحتى يتبين الفرق بين هذه المفردات ، لا بد أولاً من بيان معنى الصفح والمغفرة . وقد سبق بيان معنى العفو .

ـ معنى الصفح :

معنى الصفح لغة : الإعراض عن الذنب . يقال : صَفَحَ عنه يَصْفَح صَفْحًا: أعرض عن ذنبه . وأصله من الإعراض بصفحة وجهه ، كأنه أعرض بوجهه عن ذنبه [١] .

معنى الصفح اصطلاحًا :

الصفح : ترك التأنيب [٢] .

وقيل : إزالة أثر الذنب من النفس [٣] .

([١]) لسان العرب ٢/ ٥١٥ .

([٢]) التوقيف على مهمات التعاريف . تأليف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري. ص: ٢١٧ . الناشر : عالم الكتب ـ القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

([٣]) تفسير القرطبي ٢/ ٧١ .

ـ معنى المغفرة :

معنى المغفرة لغة : أصل الغَفْرِ : التغطية والستر . وكل شيء سترته ، فقد غفرته . ومنه : غفر الله ذنوبه أي سترها [١] .

معنى المغفرة اصطلاحًا :

لا يخرج معنى المغفرة في الاصطلاح عن معناها في اللغة ، فهي تدور حول معنى الستر والتغطية .

فالمغفرة في الاصطلاح : ستر للذنب ، صونًا من عذاب الخزي والفضيحة[٢] .

والمغفرة : تكون من الله تعالى للعبد ، وتكون من العبد للعبد . قال تعالى : ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّـهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾[٣].

والمعنى : قول جميل ، ودعاء الإنسان لأخيه ﴿ **وَمَغْفِرَةٌ** ﴾ يعني : وستر منه عليه لما علم من حاله ، خير عند الله تعالى من صدقة يتصدقها عليه ، ثم يؤذيه بأن يمن عليه بها [٤] .

وبهذا يتضح الفرق بين هذه المفردات :

---

(١) لسان العرب ٥/ ٢٥ .

(٢) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) تأليف : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي . تحقيق : عدنان درويش ـ محمد المصري ١/ ٦٣٢ (بتصرف يسير) . الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٦٣ .

(٤) تفسير الطبري ٥/ ٥٢٠ (بتصرف) .

ـ الفرق بين العفو والصفح والمغفرة :

من خلال تعريف العفو فيما سبق ، وتعريف الصفح والمغفرة ، يتضح الفرق بين هذه المفردات .

فالعفو : ترك العقاب على الذنب . وهذا لا ينفي وقوع اللوم والتوبيخ . فالإنسان قد يعفو ولا يصفح . ويدل على ذلك : قوله تعالى : ﴿.. . **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا** .. . ﴾ [1] .

والصفح : الإعراض عن المذنب ، أي ترك عقابه على الذنب ، مع ترك اللوم والتأنيب . لكن هذا لا ينفي إشاعة الذنب . فالإنسان قد يعفو ويصفح ؛ ولا يغفر . ويدل على ذلك : قوله تعالى : ﴿.. . **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا** .. .﴾ [2] .

فالمغفرة : ستر الذنب وعدم إشاعته مع ترك اللوم ، وترك العقاب [3] .

ومن هنا كان ترتيب هذه المفردات :

(العفو ـ الصفح ـ المغفرة) في هذه الآية القرآنية الكريمة التي ترشد إلى كيفية التعامل داخل الأسرة ، بين الزوجين ، وبين الوالدين والأبناء ، في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ**

([1]) سورة البقرة : جزء آية : ١٠٩.

([2]) سورة التغابن : جزء آية : ١٤ .

([3]) يُراجع : تفسير البيضاوي ١/ ١٠٠ ، ٥/ ٢١٩ ، تفسير النسفي ٣/ ٤٩٣ ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تأليف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٢٨/ ٢٨٥ . الناشر : الدار التونسية للنشر ـ تونس . سنة النشر : ١٩٨٤م (بتصرف) .

فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] ، ترتيبًا في غاية الدقة التي تتناسب مع السياق والدلالة على المعنى المراد ، حيث بدأ سبحانه بالعفو ، وهو ترك العقاب على الذنب ، ثم الصفح ، أي الإعراض عن المذنب وترك لومه وتعنيفه ، ثم المغفرة ، وهي ستر الذنب وعدم إشاعته . وفي هذا توجيه إلى ما ينبغي أن يكون داخل الأسرة ، وإلى كيفية التعامل مع الأخطاء بين الزوجين ، وبين الوالدين والأبناء .

وبهذا يتضح أن العلاقة بين هذه المفردات : (العفو ـ الصفح ـ المغفرة) علاقة : عموم وخصوص مطلق ؛ حيث إن العفو أخص من الصفح والمغفرة ، والصفح أعم من العفو وأخص من المغفرة ، والمغفرة أعم من العفو والصفح .

* * *

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن :

هل كل ترك عقوبة ، أو ترك حق يُسمى عفوًا ؟

أو بمعنى آخر :

هل كل عفو يكون محمودًا ؟

وتأتى الإجابة على هذا السؤال ، من خلال بيان ضوابط العفو الذي حث عليه الإسلام ودعا إليه ، والتي تبين حقيقة العفو المحمود ، المعتد به . وذلك في المبحث القادم .

---

(1) سورة التغابن : آية : ١٤ .

المبحث الثاني

ضـــــوابط العفـــــــو

إن الحديث عن حقيقة العفو الذي حث عليه الإسلام ودعا إليه ، يقتضى بيان ضوابط العفو، أو شروط العفو ؛ حتى تتضح الإجابة على السؤال السابق ؛ ذلك أن الترك الذي يُعد عفوًا ، أو العفو المحمود ، هو ما تضمن عدة ضوابط أو شروط ، يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ ـ العفو عند المقدرة .

٢ ـ العفو عن سماحة النفس دون تكلف أو تكليف أو إكراه .

٣ ـ العفو سبيل الإصلاح .

وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل شرط من هذه الشروط :

١ ـ العفو عند المقدرة :

وهذا أهم ما يميز العفو الذي دعا إليه الإسلام ورغب فيه ، وهو أن يكون عند المقدرة . وهذا الضابط من الضوابط التي توضح حقيقة العفو ؛ يُصحح مفهومًا خاطئًا لدى بعض الناس ، حيث يعتقد بعض الناس أن العفو ضعف وذُل ، وهذا غير صحيح ؛ لِما بين العفو والذُل من فرق واضح .

ـ والفرق بين العفو والذُل :

أن العفو إسقاط حقك جودًا وكرمًا وإحسانًا ، مع قدرتك على الانتقام ، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق .

بخلاف الذُل ، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزًا وخوفًا ومهانة نفس ،

فهذا مذموم غير محمود ، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه . قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [١] ، فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم [٢] .

فمعنى قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [٣] : أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ، ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم . وإن كانوا مع هذا ، إذا قدروا عفوا [٤] وعن إبراهيم النخعي ، قال : كان المؤمنون يكرهون أن يُستَذَلوا وكانوا إذا قدروا عفوا [٥] . فمدحهم على عفو مع قدرة لا على عفو ذل وعجز ومهانة ، وهذا هو الكمال الذي مدح الله سبحانه به نفسه في قوله تعالى : ﴿.. . **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾ [٦] . [٧] .

وفي الآية دلالة على أن العُمدة هو العفو مع القدرة ، فالله تعالى يعفو ، مع كمال قدرته على المؤاخذة . وقال الحسن : يعفو عن الجانين مع قدرته

---

(١) سورة الشورى : آية : ٣٩ .

(٢) الروح . في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة . تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. ص : ٢٤١ ، ٢٤٢ . الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت .

(٣) سورة الشورى : آية : ٣٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٧/ ١٩٣ .

(٥) المرجع السابق ١٩٣/٧ ، التحرير والتنوير ١١٤/٢٥ .

(٦) سورة النساء : جزء آية : ١٤٩ .

(٧) الروح . ص : ٢٤٢ .

على الانتقام ، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى [١] ؛ تقتدوا بسنة الله بالعفو مع القدرة [٢] .

وفي إخبار القرآن الكريم عن موقف يوسف عليه السلام مع إخوته ؛ حين قال لهم ، كما أخبر القرآن الكريم : ﴿ .. . **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّـهُ لَكُمْ** .. .﴾ [٣] مثلاً رائعًا في العفو عند المقدرة ، فقد عفا عنهم مع قدرته على الانتقام والعقاب ، ومؤاخذتهم على ما فعلوا به .

وقد اقتدى به نبينا ﷺ يوم فتح مكة ، حين دخل مكة ، وقد قدر ، ولكن مع قدرته ﷺ على العقاب والانتقام من أهل مكة الذين آذوه ، أعلن العفو عنهم .

فهذا هو العفو ؛ العفو عند المقدرة . وهذا العفو ، هو الذي يظهر فضله ، بخلاف ما إذا كان العافي في موضع ضعف وغير قادر على الانتصار لنفسه ، وإنما يعفو استسلامًا وعجزًا لعدم القدرة على رد الظلم أو الإساءة . ففي هذه الحالة : ترك الحق لا يُعد عفوًا ؛ بل يُعد عجزًا ، ولا يُمدح به الإنسان ، فالعفو إنما يكون من القادر على الانتصار لنفسه .

([١]) يُراجع : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) . تأليف : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ٢/ ٢٤٨ . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

([٢]) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) . تأليف : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي . تحقيق : محمد باسل عيون السود ٣/ ٣٨٦ . الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

([٣]) سورة يوسف : جزء آية : ٩٢ .

وبهذا يتضح أن العفو والتجاوز لا يقتضي الذلة والضعف ، بل إنه قمة الشجاعة .

وفي ذلك ، ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه : " الفتوة أربعة : العفو عند المقدرة ، والتواضع عند الرفعة ، والنصيحة عند العداوة ، والعطية بغير منة " [١] .

والعفو بهذه الصفة ، وبهذه الكيفية هو العفو الممدوح الذي ينال به الإنسان الفضل ، وينال به العزة . وهو العفو الذي دعا إليه الإسلام ورغب فيه ، وهو الذي يحبه الله تعالى من العبد .

رُوي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، أنه قال : " أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو عند المقدرة ، والقصد في الجدة ، والرفق بعباد الله تعالى ، وما رفق أحد بعباد الله إلا رفق الله به " [٢] .

---

(١) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء . تأليف : محمود بن إسماعيل بن إبراهيم بن ميكائيل الخَيْرِبَيْتي . ص : ٢٤١ ، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز ـ الرياض .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . تأليف : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ١/ ١٦٧ . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي . تأليف: أبو الليث نصر بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. تحقيق وتعليق: يوسف علي بديوي. ص: ٣٨٧، الناشر : دار ابن كثير . دمشق ـ بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

وفي رواية :" أفضل القصد عند الجِدَة، وأفضل العفو عند المقدرة" [١] .

وإذا كان العفو المعتد به في الإسلام هو العفو عند المقدرة ، فإن دعوة الإسلام إلى العفو ، هي في الحقيقة دعوة إلى القوة والشجاعة وكرم النفس ، وليست دعوة إلى الذل والضعف والاستسلام .

وقد ذكر الإمام الشعراوي في ذلك كلامًا حسنًا ، حيث قال : " ولا يمكن أن يكون للعفو مزية إيمانية إلا إذا كان مصحوبًا بقدرة ، .. ..

ولنا أن نعلم أن الحق لا يريد منا أن نستخزي أو نستذل ولكن يريد منا أن نكون قادرين ، وما دمنا قادرين فالعفو يكون عن قدرة . وهذه هي المزية الإيمانية ؛ لأن عفو العاجز لا يُعتبر عفوًا " [٢] ، ولأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده [٣] .

([١]) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . تأليف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ٥/ ٢٦١ . الناشر : مكتبة السعادة . عام النشر: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب . تأليف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي . تحقيق : سمير حلبي . ص : ١١٥ ، الناشر : دار الصحابة للتراث - طنطا . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . تأليف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي . تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ٧/ ١٩٨ ، ١٩٩ ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

([٢]) تفسير الشعراوي (الخواطر) . تأليف : محمد متولي الشعراوي ٥/ ٢٧٦٢ ، ٢٧٦٣ (باختصار) . الناشر : مطابع أخبار اليوم . عام النشر : ١٩٩٧م .

([٣]) الكشاف : ٣/ ١٦٣ .

هذا ، وفي سياق الحديث عن العفو عند المقدرة ، لا بد من التأكيد على حقيقة مهمة ، وهي :

ـ أن الدعوة إلى العفو لا تتنافى ولا تتعارض مع إباحة الانتصار للنفس.

حيث إن دعوة الإسلام إلى العفو ليس معناها منع الإنسان من أخذ حقه والانتصار لنفسه ممن ظلمه ، فقد أباح الله تعالى للمظلوم أن يُعبر عن ظلمه ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ** .. . ﴾ [١] ، كما أباح للإنسان أن يدفع عن نفسه الظلم والإساءة ، وينتصر لنفسه ممن ظلمه ، بشرط عدم التجاوز عن حد الاعتدال في أخذ الحق ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ .. . **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** .. . ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ** .. . ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** .. . ﴾ [٤] .

وتسمية الجزاء سيئة : إما لكونها تسوء من وقعت عليه ، أو على طريق المشاكلة ؛ لتشابههما في الصورة [٥] .

وفي هذه الآيات ما يفيد أنه من حق الإنسان أن يرد عن نفسه الظلم والإساءة وينتصر لنفسه بشرط عدم التجاوز والتعدي . وهذه درجة .

---

(١) سورة النساء : جزء آية : ١٤٨ .

(٢) سورة البقرة : جزء آية : ١٩٤ .

(٣) سورة النحل : جزء آية : ١٢٦ .

(٤) سورة الشورى : جزء آية : ٤٠ .

(٥) فتح القدير ٤/ ٦٢٠ .

وأعلى من هذه الدرجة : درجة العفو ، التي حث الله عليها ، بعد بيان مشروعية الانتصار للنفس ، حيث قال تعالى : ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** .. . ﴾ [1] .

وأعلى من هذه الدرجة ، ما جاء في موضع آخر ، في قوله تعالى : ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** .. . ﴾ [2] .

فهذه درجات ثلاث في التعامل مع الإساءة والظلم ، يتفاوت فيها الناس تبعًا لتفاوت الأحوال وتفاوت الأشخاص . ومن رحمة الله تعالى أن راعى هذا التفاوت ، فشرع ما يناسب كل حال ، وما يناسب كل إنسان ، فالأمر في ذلك على درجات . وإن الدعوة إلى أعلى هذه الدرجات أو أوسطها ، لا يتنافى ولا يتعارض مع ما دونها ، وإنما هو حث على الأفضل في التعامل مع الإساءة والظلم ، ومع ﴿ .. . **الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** .. . ﴾ [3]. وكل إنسان في التعامل مع ذلك حسب طاقته النفسية ، فمن الناس من يقدر على العفو وتقوى نفسه عليه ، ومن الناس من يقدر ويقوى على ما هو أعلى من العفو ، وهو رد السيئة بالحسنة، ومن الناس من لا يقدر على ذلك، بل يشق عليه ولا يرضيه إلا الانتصار لنفسه ممن ظلمه . ولا شيء عليه في ذلك ، فمن أخذ حقه دون تجاوز ، فقد أتى بما هو مشروع ومباح له من الانتصار ، ولا شيء عليه كما قال تعالى : ﴿**وَلَمَنِ**

---

(1) سورة الشورى : جزء آية : ٤٠ .
(2) سورة فصلت : جزء آية : ٣٤ .
(3) سورة الشورى : جزء آية : ٤٢ .

انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [١] أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم [٢] .

ومن أخذ بالعفو ، فقد أخذ بالفضل فالعفو فضل وليس فرض .

ومن أخذ بما هو أعلى من ذلك وهو رد السيئة بالحسنة ، فقد أتى بما هو أفضل، وهذا لا يقوى عليه كل إنسان ، ولذا عقب سبحانه على هذه الدرجة، بقوله تعالى : ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[٣]. فهذه درجات التعامل مع المظالم، ولكل إنسان أن يأخذ بما يناسبه . وإن دعوة الإسلام إلى العفو لا تتنافى مع إباحة الانتصار للنفس ، لأن الدعوة إلى العفو ليست قسرًا أو قهرًا ، إنما هي دعوة إلى ما هو أفضل لمن استطاعه . فالعفو في الإسلام اختيار لا إجبار، اختيار لمرتبة الفضل ؛ خاصة و"أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء.. فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر" [٤] .

ولهذا حذر الله تعالى من ذلك بقوله : ﴿.. . **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [٥] . أي المبتدئين بالسيئة ، والمتجاوزين في الانتقام [٦] .

---

(١) سورة الشورى : آية : ٤١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ١٩٤ .

(٣) سورة فصلت : آية : ٣٥ .

(٤) الكشاف ٤/ ٢٢٣ (باختصار) .

(٥) سورة الشورى : جزء آية : ٤٠ .

(٦) تفسير البيضاوي ٥/ ٨٣ .

ومن هنا نجد الآيات التي تفيد مشروعية الانتصار للنفس ، تجمع بين إباحة ذلك من خلال الأمر بالعدل في الانتصار ، والحث على الفضل ، وهو العفو . كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ** ﴾ [٣] ، جاء بعده الدعوة إلى العفو في قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [٤] .

فهذه الآيات الكريمة جمعت بين إباحة الانتصار للنفس ، وبين الدعوة إلى الفضل وهو العفو ، ولا تعارض بينهما ، فالانتصار مشروع بشرط عدم التجاوز عن حد الاعتدال ؛ وهو درجة العدل . والعفو درجة الفضل ؛ لمن يقوى عليه ويجود به . ولأنه ليس كل أحد يقوى عليه ويجود به ، عَدَّه سبحانه من عزم الأمور ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [٥] ، والمعنى : ولمن صبر على إساءة إليه ، وغفر للمسيء إليه جرمه ، فلم ينتصر منه ، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه فـ ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ أي إن

---

(١) سورة النحل : آية : ١٢٦ .

(٢) سورة الشورى : آية : ٤٠ .

(٣) سورة الشورى : آية : ٤١ .

(٤) سورة الشورى : آية : ٤٣ .

(٥) سورة الشورى : آية : ٤٣ .

صبره وغفرانه ذنب المسيء إليه لمن عزم الأمور [١] . أي من عزائم الصواب التي وُفِّقَ لها [٢] .

ومن هنا كان العفو المعتبر : العفو عند المقدرة . فكيف يُفهم بعد هذه الآية الكريمة ، أن العفو يقتضي الضعف والذلة ؛ وقد جعله الله تعالى من عزم الأمور ؟! .

هذا ، وقد يكون العفو عن مقدرة ، أي قدرة على الانتصار الذي أباحه الله تعالى ؛ لكن ليس عن سماحة نفس . فقد يعفو الإنسان مع قدرته على الانتصار للنفس وأخذ الحق ، ويترك ذلك مع القدرة ، لكن ليس عن سماحة نفس ، بل ربما يحمله غيره على هذا الترك . ومن هنا يأتي الشرط الثاني من شروط العفو الكامل ، وهو :

٢ ـ أن يكون العفو عن سماحة نفس دون تكلف أو تكليف أو إكراه . بمعنى أن يكون العفو برغبة العافى ورضاه ، دون سؤال وإلحاح أو إلزام أو إجبار من أحد. ومنه قوله تعالى : ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**...﴾ [٣] أي ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق ، من غير كلفة ، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم [٤] ، وقد سبق بيان معنى هذه الآية عند الحديث عن معاني العفو في القرآن الكريم .

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٥٥١ .

(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف : جزء آية : ١٩٩ .

(٤) الكشاف ٢/ ١٨٣ (بتصرف) .

فالعفو سواء أكان ترك عقاب ، أو ترك حق من المال ، أو غير ذلك ، لا بد أن يتوافر فيه هذا الشرط ، وهو أن يكون عن سماحة نفس دون تكلف أو تكليف أو إكراه .

وقد أدرك العرب قيمة العفو بهذه الكيفية في صفاء النفوس ، وأثره في الحفاظ على المودة بين القلوب، كما جاء في أشعارهم ، ومن ذلك : قول أحد الشعراء لزوجته :

خذي العفو مني تستديمي مودتي [1] ...

([1]) البيت كاملاً :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ** ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

والبيت منسوب إلى أبي الأسود الدؤلي في : عيون الأخبار . تأليف : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٤/ ٧٦ ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت . تاريخ النشر : ١٤١٨هـ ، حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين) . تاليف : الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي . تحقيق : د. محمد على دقة ١/ ١٠١ ، الناشر : وزارة الثقافة . الجمهورية العربية السورية . عام النشر : ١٩٩٥م ، مصارع العشاق . تأليف جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي أبو محمد ١/ ٨٣ ، ٨٤ ، الناشر : دار صادر ـ بيروت ، المجموع اللفيف . تأليف : أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي . ص : ٢٠٦ ، الناشر : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار . تأليف : محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي محيي الدين ابن الخطيب قاسم ١/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، الناشر : دار القلم العربي ـ حلب . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

ومنسوب إلى : أسماء بن خارجة الفزاري في : الموشي (الظرف والظرفاء) تأليف : محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب المعروف بالوشاء . تحقيق : ==

وجدير بالذكر عند الحديث عن هذا الشرط من شروط العفو ، التأكيد على حقيقة مهمة ، وهي : أن جميع الشروط والضوابط التي تبين حقيقة العفو ، أو العفو المحمود ، لا بد أن يُراعى فيها :

ـ أن يكون العفو فيما يتعلق بحق العافي ، لا بحق غيره .

فلا يُعتد بعفو الإنسان عن حق غيره إلا إذا كان برضاه ؛ حيث إن الهدف من العفو الذي دعا إليه القرآن الكريم ، ورسول الإسلام العظيم ﷺ : إشاعة المودة والمحبة وتصفية النفوس ؛ ولأن طبائع الناس تتفاوت في تقبل أمر العفو ـ كما سبق بيان ذلك ـ نجد أن الإسلام رَغَّب في العفو ، ولم يفرضه فرضًا ؛ حتى يتم عن سماحة خالصة وعن طيب نفس ، ولا يكون شكلاً ظاهرًا لطاعة زائفة تنطوي على أحقاد وأضغان باطنة . فقرار العفو هو حق لمن أُسيء إليه ، يرجع إلى اختياره ، وإلى سماحة نفسه به ، وإلى تقديره .

وأعنى بتقديره : تقديره لحال المسيء .

إذ إن العفو مندوب إليه ومطلوب ، ولكن : هل العفو دائمًا مطلوب في جميع الأحوال، حتى إذا استمر شخص في الإساءة وتمادي في الأذى؟

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال : لا .

ومن هنا يأتي الشرط الثالث من شروط العفو ، وهو :

==

كمال مصطفى ١/ ١٤٩، الناشر : مكتبة الخانجي ، مطبعة الاعتماد ـ مصر . الطبعة الثانية ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٣م ، التذكرة الحمدونية . تأليف : محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ٣/ ٣٣٩ ، الناشر : دار صادر ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٣ ـ العفو سبيل الإصلاح :

إن العفو الذي رَغَّب فيه الإسلام ، هو العفو الذي يؤدي إلى الإصلاح ، إذ ليس المقصود من تشريع العفو إشاعة الفوضى في المجتمع والتجرؤ على الظلم والتمادي في الخطأ ؛ ومن هنا كان شرط الله تعالى في العفو الإصلاح ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ .. . **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ** .. . ﴾ [١] . فهذه الآية الكريمة توضح أن شرط الله في العفو : الإصلاح فيه ، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته ، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به ، فالعفو مندوب إليه ، لكن قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال ، فيصير ترك العفو مندوبًا إليه ، وذلك إذا استدعى الحال كف الأذى ودفع الظلم [٢] . كما إذا كان الجاني معلنًا بالفجور ، مؤذيًا للصغير والكبير ، ففي هذه الحالة يكون العفو عنه سببًا لتجرؤه وتماديه في الظلم والأذى .

أما إذا كان الجاني لا يقصد الإساءة والأذى ، أو كانت الْفَلْتَة ، أو وقع ذلك ممن يعترف بالزَّلَّةِ ويسأل المغفرة ، فالعفو هنا يكون سببًا لتهدئة النفوس ، ورجوع الجاني عن جنايته ، وصلاح حاله [٣] .

---

(١) سورة الشورى : جزء آية : ٤٠ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٤ (بتصرف) .

(٣) يُراجع : أحكام القرآن . تأليف : القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي . مراجعة وتخريج أحاديث وتعليق : محمد عبد القادر عطا ٤/ ٩٣ ، الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان . الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م، تفسير الرازي ٦٠٤/٢٧ ، تفسير القرطبي ٣٩/١٦ ، التفسير المنير ٢٥/ ٨٣ .

فالأمر في العفو يُقدر حسب حال الجاني ، وإذا كان الإسلام قد شرع العقوبات حفظًا للحقوق ودفعًا للظلم ، بهدف الإصلاح ، فقد شرع العفو أيضًا للإصلاح . وللعقوبة موضعها ، وللعفو موضعه .

أما العفو في موضع لا يؤدي العفو فيه إلى إصلاح بحجة أن الشرع حث على العفو ، فالعافي بذلك يعرض نفسه للذل والإهانة وهذا منهي عنه، كما جاء في حديث الرسول ﷺ : ((لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه)) قالوا : وكيف يُذلُّ نفسه؟ قال : ((يتعرض من البلاء لما لا يُطيق)) [1] .

فالعفو سبيل للعزة ، لا للإهانة . سبيل للإصلاح ، وليس لإشاعة الظلم والاستهانة بالأخطاء . وليس كذلك للتجرؤ على محارم الله عز وجل ، فلا خير في عفو يؤدي إلى الاستهانة بما حرمه الله تعالى . وقد كان رسول الله ﷺ لا يغضب إلا إذا انتُهكت محارم الله تعالى ، كما وصفته السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ((ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيده ، ولا امرأة ، ولا خادمًا ، إلا أن يُجاهد في سبيل الله ، وما نِيلَ منه شيء قَطُّ ،

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه . أبواب الفتن . حديث رقم : (٢٢٥٤) ٥٢٣/٤ . وقال عنه : هذا حديث حسن غريب . [سنن الترمذي ٤/ ٥٢٣] .
وأخرجه ابن ماجة في سننه . كتاب : الفتن . باب : قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** .. ﴾ [سورة المائدة : جزء آية : ١٠٥] حديث رقم : (٤٠١٦) ١٣٣٢/٢.

فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل)) [1] .

ومعنى (نِيلَ منه) أي أُصيب بأذى من قول أو فعل . وانتهاك حرمة الله تعالى هو ارتكاب ما حرمه .

و (إلا أن تُنتهك حرمة الله) استثناء منقطع ، معناه : لكن إذا انتُهكت حُرمةُ الله انتصر لله تعالى [2] . وفي التعبير بالانتهاك ؛ ما يفيد المبالغة في التجرؤ على محارم الله تعالى .

وهذا دليل على أن العفو ليس محمودًا على الإطلاق ، بل لا بد له من ضوابط ، حتى لا يُستهان بالحقوق ، وحتى لا يُتخذ من هذه الفضيلة ذريعة للتجرؤ على الظلم ، والتمادى في الخطأ .

وبهذه الضوابط تتضح حقيقة العفو الذي يُعتد به في نظر الإسلام ؛ إنه العفو المستجمع لهذه الأمور .

وهذا العفو هو الذي دعا إليه الإسلام ، ورَغَّب فيه وحث عليه وبَيَّن فضله . وفي المبحث القادم ؛ الحديث عن فضل العفو والحث عليه .

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه . (٤٣) كتاب الفضائل . باب : (٢٠) مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حُرُماته ١٨١٤/٤ ، حديث رقم : (٢٣٢٨/ ٧٩) .

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) . تأليف : أبو زكريا محيى الدين يحيي بن شرف النووي ١٥/ ٨٤ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

المبحث الثالث

فضـــل العفـــو والحـــث عليـــه

حث القرآن الكريم على العفو ورغَبَّ فيه ، من خلال بيان فضله في عديد من الآيات . وبتتبع هذه الآيات ، يمكن تلخيص أهم ما يوضح فضل العفو فيما يلي :

١ ـ العفو صفة من صفات الله تعالى ، واسم من أسمائه عز وجل .

وما أعظم هذا الفضل ، فالعبد عندما يعفو عمن أساء إليه ، فهو بذلك يتعبد بصفة من صفات الله تعالى ، ويتعبد باسم من أسمائه عز وجل ، فالعَفُوُّ : اسم من أسماء الله تعالى . والعَفُوُّ على فعول : الكثير العَفْو [١] . فهو سبحانه العَفُوُّ الذي وسع عفوه ما يصدر عن عباده من الذنوب .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ، في عدة مواضع ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ .. . **إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [٢] ، والمعنى : أن الله تعالى لم يزل عفوًا عن ذنوب عباده ، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به[٣] .

وكذا في قوله تعالى : ﴿ .. . **وَكَانَ اللَّـهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿**إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾

---

(١) الصحاح للجوهري ٦/ ٢٤٣٣ .

(٢) سورة النساء : جزء آية : ٤٣ .

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٤٢٦ .

(٤) سورة النساء : جزء آية : ٩٩ .

[1] ، وقوله تعالى : ﴿.. . **إِنَّ اللَّـهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿.. . **وَإِنَّ اللَّـهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** ﴾ [3] .

والحق سبحانه يدعو عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها ، فيقول تعالى : ﴿ **وَلِلَّـهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** .. . ﴾ [4] .

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، ودعاء التعبد. ودعاء التعبد يتمثل في العمل بموجب أسمائه وصفاته عز وجل .وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته ، فهو سبحانه عفو يحب العفو وأهله [5] .

وفي الحديث الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قلت : يا رسول الله أرأيتَ إن علمتُ أيُ ليلةِ ليلةُ القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : ((قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني)) [6] .

([1]) سورة النساء : آية : ١٤٩.

([2]) سورة الحج : جزء آية : ٦٠ .

([3]) سورة المجادلة : جزء آية : ٢ .

([4]) سورة الأعراف : جزء آية : ١٨٠ .

([5]) يُراجع : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . تأليف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ١/ ٤٢٠ ، ٤٢١ (بتصرف) . الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت . الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

([6]) أخرجه الترمذي في سننه . أبواب الدعوات . حديث رقم: (٣٥١٣) ٥/٥٣٤ ، وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

فهو سبحانه عفوّ يحب العفو ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض .

ومن تمام عفوه تعالى ، أنه مهما أسرف العبد في الذنوب ثم تاب ورجع إليه سبحانه ، غفر له جميع ذنوبه ، كما قال تعالى : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ .. .** ﴾ [2] .

ولولا عفوه سبحانه ما ترك على ظهر الأرض من دابة ، كما قال تعالى : ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّـهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ .. .** ﴾[3].

فما أعظم هذا الفضل ، وما أجمل أن يتحلى الإنسان بهذا الخلق ؛ ليحظى بهذا الفضل ، فضل التعبد بصفة من صفات الله تعالى ؛ فيحقق العلم والعمل بها معًا ، ويتحلى بصفة يحبها الله تعالى ! .

٢ ـ العفو خُلق أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك :

ـ يوسف عليه السلام ، الذي تخلَّق بخُلق العفو ؛ حتى صار عفوه ـ عليه السلام ـ عن إخوته ، بعد ما فعلوا به ما فعلوا ، مثلاً يُحتذى به في العفو .

([1]) سورة الزمر : آية : ٥٣ .

([2]) سورة الشورى : جزء آية :٢٥ .

([3]) سورة فاطر : جزء آية : ٤٥ .

ـ وكذلك نبينا محمدﷺ ومواقف العفو في سيرته ﷺ التي تشهد على تخلقه بهذا الخُلق ، كثيرة . أعظمها: موقفه ﷺ مع أهل مكة يوم الفتح .

وقد سبق الحديث عن ذلك ، عند الحديث عن العفو عند المقدرة .

٣ ـ العفو من صفات المتقين ، ومن مقامات الإحسان .

وتتضح العلاقة بين العفو والتقوى ، في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ .. **. وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** .. .﴾ [١] .

فقد روي الإمام ابن جرير الطبري ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في معنى قوله تعالى : ﴿ .. . **وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** .. .﴾ قال : أقربهما للتقوى الذي يعفو [٢] . وذلك لأن من سمح بترك حقه كان محسنًا ، وذلك عنوان التقوى [٣] .

والآية في سياق الحديث عن عفو أحد الزوجين عن نصف المهر للآخر ، في حالة الطلاق قبل الدخول ؛ وقد سُمي المهر .

كما عُد العفو صفة من صفات المتقين ، ومن مقامات الإحسان في قوله تعالى : ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة البقرة : جزء آية : ٢٣٧ .

(٢) جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري ٥/ ١٦٢ .

(٣) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ٢/ ١٦٢ .

(٤) سورة آل عمران : الآيات : ١٣٣ ، ١٣٤ .

فقد عُد العفو صفة من صفات المتقين ، حيث ذكر الله تعالى من صفاتهم : ﴿... **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ...﴾ ثم قال سبحانه : ﴿... **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ فهذا من مقامات الإحسان [١] .

وقد ذكر الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية ، كلامًا حسنًا ، حيث قال: " واعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه ، أو بدفع الضرر عنه .

أما إيصال النفع ، فهو المراد بقوله تعالى في الآية : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ** ﴾ ...وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا، وهو أن لا يشتغل بمقابلة الإساءة أُخرى ، وهو المراد بكظم الغيظ .

وإما في الآخرة ، وهو أن يُبري ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ .. . **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** .. .﴾ . فصارت هذه الآية دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير " [٢] ، وقد أفاد هذا الكلام للإمام الرازي ـ رحمه الله ـ فائدة لطيفة ، حيث أشار إلى أن إحسان الإنسان بالعفو عن الناس ، لا يقتصر على العفو عنهم في الدنيا فقط ؛ بل إنه يمتد إلى ترك المطالبة بمؤاخذتهم في الآخرة أيضًا ! .

٤ ـ العفو عن الناس سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى ومغفرته .

قال تعالى : ﴿ **إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾ [٣] فقوله تعالى : ﴿ **أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ** ﴾ أي : عن مظلمة ﴿

---

(١) يُراجع تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٦ (بتصرف) .

(٢) يُراجع تفسير الفخر الرازي ٩/ ٣٦٧ (باختصار) .

(٣) سورة النساء : آية : ١٤٩ .

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ فإن الله سبحانه أَوْلَى بالتجاوز عنكم يوم القيامة[1] .

وليس أحدُ من خلق الله تعالى ، إلا وهو محتاج إلى عفوه تعالى ومغفرته ، ومن رحمة الله تعالى بعباده ، أن أرشدهم إلى الأسباب الموصلة إلى عفوه سبحانه ومغفرته ، والتي منها : العفو عن الناس ، فمن يرغب في عفو الله تعالى عنه ، فليعف عن الناس . قال تعالى : ﴿ .. . **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ...** ﴾ [2] .

وقد سبق بيان سبب نزول هذه الآية الكريمة وبيان معناها ، في التمهيد من هذا البحث .

ولا أوضح من هذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة ، في الدلالة على أن مَنْ أحب أن يعفو الله عنه ؛ فليعف عن الناس .

٥ ـ العفو كفارة للذنوب :

قال تعالى ، عقب ذكر القصاص في سورة المائدة : ﴿ .. . **فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** .. . ﴾ [3] .

فقوله تعالى : ﴿ **فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** ﴾ ترغيب في العفو ، حيث إن التعبير عنه بالتصدق ؛ للمبالغة في الحث عليه [4] .

---

(1) تفسير البغوي ١/ ٧١٧ .

(2) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

(3) سورة المائدة : جزء آية : ٤٥ .

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم . تأليف : د. محمد سيد طنطاوي ٤/ ١٧٠ ، الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . الفجالة ـ القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

والمعنى : ﴿ **فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ يعني : عفا عن مظلمته في الدنيا وترك القصاص [١] .

والضمير في قوله تعالى ﴿**لَّهُ**﴾ يعود إلى العافي المتصدق، وهو المجني عليه ، أو من يقوم مقامه . والمعنى : فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص ، بأن عفا عن الجاني فإن هذا التصدق يكون كفارة لذنوب هذا المتصدق ، حيث قدم العفو مع تمكنه من القصاص . وقيل : إن الضمير في ﴿**لَّهُ**﴾ يعود على الجاني ، فيكون المعنى : فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص ، بأن عفا عن الجاني ، فإن هذا التصدق يكون كفارة له، أي لذنوب الجاني، بأن لا يؤاخذه الله بعد ذلك العفو[٢] .

وقد رجح الإمام ابن جرير الطبري عود الضمير إلى العافي المتصدق ، وهو المجني عليه ، أو ولي دمه ، حيث قال :

" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عني به ﴿**فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** ﴾ المجروح ؛ فلأن تكون الهاء في قوله : ﴿ **لَّهُ**﴾ عائدة على ﴿ **مَنْ** ﴾ أولى من أن تكون عائدة على من لم يجر له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح ، وأحرى ؛ إذ الصدقة هي المكفِّرة ذنب صاحبها دون

---

(١) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ١/ ٣٩٤ .

(٢) يُراجع : تفسير الطبري ١٠/ ٣٦٢ ـ ٣٦٩ ، تفسير السمرقندي ١/ ٣٩٤ ، الكشاف ١/ ٦٢٥ ، تفسير الرازي ١٢/ ٣٦٩ ، تفسير القرطبي ٦/ ٢٠٨ ، التفسير الوسيط . تأليف : د. محمد سيد طنطاوي ٤/ ١٧١ .

المتصدَّق عليه في سائر الصدقات غير هذه، فكان سبيل هذه ، سبيل غيرها من الصدقات " [١] .

وهذا القول ، وهو أن الضمير في ﴿ لَّـهُ﴾ عائد على العافي ، وأن العفو تكفير لذنوب العافي ، هو قول أكثر المفسرين [٢] . وعليه أكثر الصحابة ومن بعدهم [٣] . واقتصر عليه الإمام النسفي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة [٤] .

٦ ـ ويكفي في الدلالة على فضل العفو ؛ أن أجر العافي على الله تعالى . كما أخبر القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ .. . **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ** .. . ﴾ [٥] .

والمعنى : فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه ، فغفرها له ، ولم يعاقبه بها ـ وهو على عقوبته عليها قادر ـ ابتغاء وجه الله ، فأجر عفوه ذلك على الله ، والله مثيبه عليه [٦] .

ومن المعلوم أن الله تعالى هو المثيب والمجازى على أي عمل يعمله الإنسان ، وليس العفو فقط . إلا أن النص على ذلك في شأن العفو ؛ تنويه بعظم قدره ، ومزيد فضله ، وتكريم ورفعة لشأن العافي . فأي تكريم بعد هذا

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ٣٦٩ .
(٢) تفسير الرازي ١٢/ ٣٦٩.
(٣) تفسير القرطبي ٦/ ٢٠٨ .
(٤) تفسير النسفي ١/ ٤٥٠ .
(٥) سورة الشورى : جزء آية : ٤٠ .
(٦) تفسير الطبري ٢١/ ٥٤٨ .

الوعد من الله تعالى: ﴿ .. . **فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**... ﴾ أي ثوابه على الله تعالى. إضافة إلى ذلك : ما أفاده إبهام الأجر ، حيث إن في إبهام الأجر ما يدل على عِظمه [1] .

وكما أفاد إبهام الأجر التعظيم ؛ فقد أفاد العموم ، حتى يشمل الدنيا ، والآخرة ، ويشمل كل ما يتصوره العقل في هذا الأجر ؛ ففي الإبهام إطلاق للخيال حتى يذهب في تصور المبهم كل مذهب .

وبهذا دلت الآية الكريمة على فضل العفو ، من وجهين :

الأول : أن أجر العافي على الله تعالى ، وهذا وعد، ومن الذي وعد ؟ !

إنه الكريم ، سبحانه . ولا يخفى ما في هذا من فضل وشرف .

الثاني : إبهام هذا الأجر . وفي هذا الإبهام تفخيم وتعظيم شأن هذا الأجر ؛ وشموله للدنيا والآخرة .

وفي الحديث الصحيح ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، عن رسول الله ﷺ ، قال : ((ما زاد اللهُ عبدًا بعفو ، إلا عزًا .. .)) [2] .

وقوله ﷺ : ((ما زاد اللهُ عبدًا بعفو ، إلا عزًا)) فيه وجهان :

أحدهما : أنه على ظاهره ، وأن من عُرف بالعفو والصفح ساد وعَظُمَ في القلوب ، وزاد عزه وإكرامه .

---

(1) يُراجع : تفسير الرازي ٢٧/ ٦٠٧ ، تفسير النسفي ٣/ ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، تفسير القاسمي ٨/ ٣٧٣ .

(2) جزء حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب. باب : (١٩) استحباب العفو والتواضع. حديث رقم : (٢٥٨٨/ ٦٩) ٤/ ٢٠٠١ .

والثاني : أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك [١] .

والمعنيان يشملهما الأجر العظيم الذي وعد الله تعالى به العافي .

هذا ، ولو لم يكن للعفو من فضل إلا أنه :

٧ ـ **صفة يحبها الله تعالى ويحب المتصفين بها** ، لكفى هذا في الدلالة على فضل العفو .

فالعفو صفة يحبها الله تعالى ، ويحب المتصفين بها ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [٢] .

فقد مدح الله تعالى العافين عن الناس وأخبر أنه سبحانه يحبهم بإحسانهم في ذلك [٣] . ومحبة الله للعبد أعم درجات الثواب [٤] .

وقد سبق في الحديث عن : العفو صفة من صفات الله تعالى . ذكر حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ الذي يفيد محبة الله تعالى للعفو وأهل العفو ، حيث قالت : قلت : يا رسول الله أرأيتَ إن علمتُ أيُ ليلة ليلةُ

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) ١٤١/١٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآيات : ١٣٣، ١٣٤ .

(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٢٠٧ (بتصرف) .

(٤) تفسير الرازي ٩/ ٣٦٧ .

القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : ((قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)) [١] .

وأي فضل للعفو بعد هذا الفضل؟!

فضل التخلُق بصفة يحبها الله تعالى . بل إنه فضل نيل محبة الله تعالى ؛ هذا الفضل الذي يصل إليه كل من تحلى بهذه الصفة التي يحبها الله تعالى ويحب المتخلقين بها .

فمن أراد محبة الله تعالى ، فعليه بالعفو الذي يوصله إلى ذلك .

ولما كان للعفو هذا الفضل ، وهذه المكانة العظيمة ، نجد الحق تبارك وتعالى حث عليه في العديد من الآيات ، حيث أمر به نبينا محمد ﷺ ، وهو القدوة والمعلم لهذه الأمة ، فقال تعالى مخاطبًا النبي ﷺ : ﴿ . . . **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ** .. . ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ .. . **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ** .. . ﴾ [٤] .

كما حث الله المؤمنين جميعًا على العفو ورغَّبهم فيه ، فقال تعالى : ﴿.. . **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّـهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [٥] ،

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) سورة آل عمران : جزء آية : ١٥٩ .

(٣) سورة المائدة : جزء آية : ١٣ .

(٤) سورة الأعراف : جزء آية : ١٩٩ .

(٥) سورة البقرة : جزء آية : ١٠٩ .

وقال تعالى: ﴿... **وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ...﴾ [1] ، وقال تعالى: ﴿... **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ...﴾ [2]. ﴿.. . **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [3] .

* * *

(1) سورة البقرة : جزء آية :٢٣٧ .

(2) سورة النور : جزء آية : ٢٢ .

(3) سورة التغابن : جزء آية : ١٤ .

المبحث الرابـــــع

أثر العفو على الفرد والمجتمع

إن الحديث عن أثر العفو على الفرد ، لا يختلف عن الحديث عن أثر العفو على المجتمع ؛لأن جميع الآثار الطيبة للعفو ، العائدة على الفرد ؛ عائدة على المجتمع من خلال مجموع أفراده .

هذا، وإن الحديث عن أثر العفو على الفرد والمجتمع، يتضمن بيان أهم فوائد العفو وثماره وآثاره الطيبة العائدة على العافي بعفوه عمن أساء إليه.

وأهم هذه الفوائد والآثار الطيبة :

أولاً : من الناحية الدينية :

١ ـ محبة الله ـ تعالى ـ للعافي ، فالعفو صفة يحبها الله ـ تعالى ـ ، ويحب المتصفين بها .

٢ ـ الأجر العظيم الذي يناله العافي بعفوه عمن أساء إليه ، فأجر العافي على الله ـ تعالى ـ . وهذا الأجر يشمل الدنيا والآخرة .

٣ ـ تكفير الذنوب ، فالعفو عن الناس سبيل الوصول إلى عفو الله ـ تعالى ـ ومغفرته .

وقد سبق بيان ذلك بشيء من التفصيل عند الحديث عن فضل العفو ، من هذا البحث .

ثانيًا : من الناحية النفسية :

ـ طمأنينة النفس ، فإن النفس التي لا تشغل نفسها بالانتقام ممن أساء إليها ، نفس هادئة مطمئنة ، تتمتع بالسلام الداخلي والسلام الخارجي ، مع كل مَنْ حولها ، لا يشغلها هم الانتقام وتدبير الكيد .

ولعل أجمل ما يعبر عن هذا ، قول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحقِدْ عَلَى أحدٍ ** أَرَحْتُ نَفْسِيْ مِنْ هَمِّ العَدَاوَاتِ [1]

ففي العفو من الطمأنينة والسكينة وشرف النفس ، وعِزِّها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام : ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام [2] .

([1]) نُسب هذا البيت إلى الإمام الشافعي رحمه الله في : أدب الدنيا والدين . تأليف : أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي . ص : ١٨٢ ، الناشر : دار مكتبة الحياة . تاريخ النشر : ١٩٨٦م ، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار . ص : ١٧٧ ، وص : ٢٦٣ ، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال . تأليف : القاضي حسين بن محمد المهدي . راجعه : الأستاذ عبد الحميد محمد المهدي ١/ ٥٨٧ ، الناشر : سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م ، نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار . تأليف : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم . ص : ٢٤٠ ، الناشر : دار العباد ـ بيروت ، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي . تأليف : أحمد قبش بن محمد نجيب ٧/ ١٢٢ .

ونُسب إلى هلال بن العلاء الرقّي الباهلي ، في : البصائر والذخائر . تأليف : أبو حيان التوحيدي على بن محمد بن العباس . تحقيق : د. وداد القاضي ١٩٠/٨ ، الناشر : دار صادر ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

([2]) مدارج السالكين ٢/ ٣٠٣ (بتصرف يسير) .

ومن هنا كان العفو راحة للنفس .

ثالثًا : من الناحية الصحية :

هناك علاقة قوية بين العفو ، والتمتع بالصحة الجيدة ، والوقاية من كثير من الأمراض ، حيث إن الإنسان الذي يعتاد العفو ، يتمتع بالطمأنينة والهدوء النفسي ، وسلامة القلب من الغِل . وهذا يقيه من التوتر والغضب الذي يسببه التفكير في الانتقام والحرص عليه .

وقد أثبتت الدراسات الطبية ، وصار معلومًا لدى الناس ـ بما فيه غنى عن ذكره ـ الآثار السيئة التي يسببها القلق والتوتر والغضب ، على القلب وضغط الدم والمناعة ، بل على الصحة العامة . والعفو يقي الإنسان من كل هذا ، بما فيه من راحة للنفس .

رابعًا : من الناحية الاقتصادية :

فالعفو والسلام مع النفس ومع الناس ، بيئة ملائمة للاستقرار والعمل والإبداع والتقدم والنجاح والتنمية . ذلك أن من يشغل نفسه بالانتقام ممن أساء إليه ، يمضي كثيرًا من الوقت والجهد في التفكير والتدبير لكيفية الانتقام ممن أساء إليه . وذلك يشغله عن إنجاز كثير من الأعمال ، ويؤخره بلا شك عن السير في ركب التقدم والتطور .

ومن هنا يتضح أثر العفو في التنمية والاقتصاد .

ولا يخفى ما في العفو من حفظ لأمن المجتمع ، ووقاية له من شر كثير من النزاعات والصراعات والقضايا التي امتلأت بها المحاكم ، والتي تكلف الدولة أموالاً طائلة ، فضلاً عما تكلفه لأصحابها من أموال، قد يكونوا في حاجة شديدة إليها .

خامسًا : من الناحية الاجتماعية :

مـن الآثـار الطيبـة التـي يتركهـا العفـو فـي المجتمـع : أنـه يؤلـف بـين القلـوب ، ويرفـع من قـدر صـاحبه ، فالعـافي يحبـه النـاس ؛ لأن العفـو دليـل علـى سماحة النفس وكرم الخُلق ، كمـا أن العفو يقلل من وقوع المشكلات والفتن بين أفراد المجتمع ، ويحفظ للمجتمع أمنه واستقراره .

ومن المعلوم أيضًـا ، أن كل عمل يعمله الإنسان مردود إليه وعائد إليه جزاءه في الدنيا والآخرة ، وهذه حقيقة نص عليها القرآن الكريم في عدد من الآيات ، وأكدها الواقع أيضًـا . ومن الآيات في ذلك : قوله تعالى : ﴿ ... **وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ...** ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** .. . ﴾ [2] والآيات في ذلك كثيرة .

فمـن عفـا عـن غيـره ، أثمـر ذلـك عفـو الغيـر عنـه ، فيشـيع العفـو داخـل بيوتنا وأسرنا ومجتمعنا . وإذا كان العفو سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى ، فهو أيضًـا سبيل الوصول إلى عفو الناس ، إذ كيف ينتظر مَنْ لا يعفو عن الناس أن يجد العفو منهم ؟ ! وكيف ينتظر مَنْ لا يعفو عن زوجه ولا عن أبناءه ؛ أن يجد العفو منهم ؟ ! .

إن العفو يثمر عفوًا يشيع في علاقاتنا ومعاملاتنا ومجتمعنا . فمن عفا عـن النـاس ؛ عفـا عنـه النـاس ، ولا يخفـى أثـر ذلـك علـى المجتمـع . بـل ، وعلى الفرد أيضًـا .

([1]) سورة فاطر : جزء آية : ١٨ .

([2]) سورة فصلت : جزء آية : ٤٦ .

تعقيـــــب :

كلمة إلى المُخطئ :

العفو فضل وليس فرض .

فقد حث الله ـ تعالى ـ على العفو ، ودعا إليه ، لكنه سبحانه لم يفرضه فرضًا لازمًا .

لذا ، ينبغي للمُخطئ أن يبادر إلى الاعتذار ، ولا يتوقع أن العفو حقًا لازمًا له من كل الأفراد ، وفي كل الأحوال . فالعفو قوة يتفاوت الناس فيها، بل يتفاوت الإنسان فيها من وقت إلى آخر، ومن حال إلى حال .

وإذا كان العفو فضيلة تدل على سماحة النفس وكرم الخُلق ، فإن الاعتذار أيضًا فضيلة تدل على صدق النفس في الرجوع إلى الحق ، والحرص على تصحيح الخطأ . وكل منهما إنما ينشأ عن نفس قوية شجاعة .

وقد أخبر القرآن الكريم عن موقف إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ وشجاعتهم في الاعتراف بالخطأ ، حين اعتذروا إلى يوسف ـ عليه السلام ـ فـ ﴿ **قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّـهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ [1] . عندها عفا عنهم يوسف ـ عليه السلام ـ وقبل اعتذارهم ، و﴿ **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّـهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [2] .

([1]) سورة يوسف : آية : ٩١ .

([2]) سورة يوسف : آية : ٩٢ .

ثم اعتذروا إلى أبيهم يعقوب ـ عليه السلام ـ واعترفوا بخطئهم في حقه ، وفي حق أخيهم ، حين : ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** ﴾ [1] .

وهذه شجاعة الاعتذار ، وشجاعة الاعتراف بالخطأ .

وإذا كان للعفو أثرًا طيبًا في النفوس ، فإن للاعتذار عن الخطأ أثرًا طيبًا أيضًا ، خاصة وأنه أيسر الطرق للقضاء على الخلافات والمشكلات .

ذلك أن الاعتذار يصفي النفوس والقلوب ، ويمحو أثر الخطأ .

وبالاعتذار والعفو معًا تقوى الروابط الاجتماعية ، وتزول الأحقاد والخلافات، وتتحقق الأُلفة والمودة والمحبة والتقارب بين أفراد المجتمع .

ولا أدَلَّ على أهمية الاعتذار ؛ من أنه : طريق لعفو مَنْ أُسئ إليه ، طريق لعفو الله ، طريق للعفو عن النفس .

---

(1) سورة يوسف : آية : ٩٧ .

الخاتمـــة

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ، اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اقتدي بهديه إلى يوم الدين .

وبعـد .. ..

فبفضل الله ـ تعالى ـ ، وعون منه سبحانه ، تمت كتابة هذا البحث .

وفيما يلي ؛ عرض لأهم نتائج دراسة هذا الموضوع ، وعرض لبعض التوصيات :

أولاً : نتائج البحث :

١ ـ معنى العفو في اللغة يدور حول معنى التَّرك ، ويُفسَر هذا الترك في كل مقام بما يناسبه ، فقد يأتي العفو بمعنى الترك عن استحقاق ، وقد يأتي بمعنى الترك عن عدم إلزام .

٢ ـ معنى العفو في الاصطلاح لا يبعد عن المعنى اللغوي للعفو ، حيث إن معناه في الاصطلاح: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه. وهذا المعنى ، أحد معاني العفو في اللغة .

٣ ـ ورد العفو في القرآن الكريم وفق عدة معاني ، حيث جاء بمعنى : ـ ترك العقاب . وجاء بمعنى : ـ ترك حق من المال بلا عوض . وجاء بمعنى: ـ الفضل والزيادة عن الحاجة من المال . وبمعنى : ـ الفضل الذي يجيء بغير تكلف من الأخلاق والأعمال. وجاء بمعنى : ـ الكثرة.

وكل هذه المعاني تدور حول المعنى الأصلي للعفو ، وهو الترك .

٤ ـ اقترن العفو بالصفح في بعض الآيات ، كما اقترن بالمغفرة في بعض الآيات ، واقترن بالصفح والمغفرة معًا في آية واحدة ، تتعلق بالعفو داخل الأسرة ، بين الزوجين ، وبين الآباء والأبناء ؛ إشارة إلى خصوصية العلاقة بين أفراد الأسرة .

٥ ـ وجود فرق بين العفو والصفح والمغفرة .

٦ ـ العلاقة بين العفو والصفح والمغفرة علاقة عموم وخصوص مطلق ، فالعفو أخص من الصفح والمغفرة ، والصفح أعم من العفو وأخص من المغفرة ، والمغفرة أعم من العفو والصفح .

٧ ـ ليس كل عفو محمود ، فالعفو المحمود هو ما توافر فيه عدة ضوابط ، أو شروط ، تتلخص في : أن يكون العفو مع القدرة على الانتصار، وأن يكون عن سماحة النفس دون تكلف أو تكليف أو إكراه، وأن يكون سبيلاً للإصلاح .

وكل هذه الضوابط لا بد أن يراعى فيها :

ـ أن يكون العفو فيما يتعلق بحق العافي لا بحق غيره . وأن يكون فيما لا يتعلق بانتهاك محارم الله عز وجل .

٨ ـ وجود فرق كبير بين العفو والذُل ، فالعفو : إسقاط الحق جودًا وكرمًا ، بخلاف الذُل ، فإن صاحبه يترك الحق عجزًا وضعفًا .

٩ ـ بالعفو يتعبد الإنسان بصفة من صفات الله ـ تعالى ـ ، وباسم من أسمائه عز وجل ، ويتخلَّق بخُلق من أخلاق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

١٠ ـ بالعفو يحصل الإنسان على صفة من صفات المتقين ، ومقام من مقامات الإحسان . بل ، وعلى صفة يحبها الله ـ تعالى ـ .

١١ ـ العفو مظهر من مظاهر شكر الله تعالى على نعمة القوة والقدرة .

١٢ ـ العفو عن الناس سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى ومغفرته ، فمن أحب أن يعفو الله ـ تعالى ـ عنه ، فليعف عن الناس .

١٣ ـ العفو كفارة للذنوب .

١٤ ـ من الأدلة على فضل العفو : أن أجر العافي على الله ـ عز وجل ـ .

١٥ ـ تميز حديث القرآن عن العفو بمراعاة طبائع البشر ، حيث لم يفرض الله ـ تعالى ـ العفو فرضًا، بل جعله فضلاً يرجع إلى اختيار مَنْ أُسيئ إليه وقدرته . فكل إنسان في التعامل مع الإساءة حسب طاقته وقدرته . والناس يتفاوتون في ذلك ، فليس كل إنسان يقوى على العفو .

١٦ ـ دعوة القرآن الكريم إلى العفو لا تتنافى ولا تتعارض مع إباحة الانتصار للنفس ، فمَنْ أخذ بالعفو فقد أخذ بالفضل ، ومَنْ انتصر لنفسه وأخذ حقه ، فقد أخذ بالعدل .

١٧ ـ إن العفو الذي دعا إليه الإسلام ورَغَّب فيه وحث عليه ، هو العفو الذي يؤدي إلى الإصلاح ، حيث إن الهدف من دعوة القرآن إلى العفو: إشاعة المودة والمحبة ، وتصفية النفوس ، ولم يكن الهدف منه إشاعة الظلم في المجتمع . ومن هنا ، فإن العفو لا يكون مأمورًا به ، ولا مندوبًا إليه في حق مَنْ يتمادى في الظلم ، ويتجرأ على الخطأ والأذى .

١٨ ـ العفو يورث الإنسان سلامة القلب ، وطمأنينة النفس .

١٩ ـ وجود علاقة قوية بين العفو ، والتمتع بالصحة الجيدة . فالعافي لا يُعاني القلق والتوتر الذي يسبب كثيرًا من الأمراض .

٢٠ ـ للعفو أثرًا كبيرًا في التنمية والاستقرار والتقدم .

٢١ ـ في العفو وقاية للمجتمع من شر النزاعات والصراعات والمشكلات والقضايا .

٢٢ ـ العفو قوة وقدرة ، لكنها يسيرة على أقوياء النفوس . فالإنسان الذي يعفو عمن أساء إليه؛ وهو قادر على إنفاذ العقوبة ، لديه من قوة النفس ، وسماحة الطبع ، وسلامة الصدر ؛ ما يُمَكنه من ذلك . ومن هنا يتضح أن فهم العفو على أنه ضعف، فهمًا خاطئًا مغلوطًا لا صحة له.

٢٣ ـ العفو تعبير صادق عن السلام ، السلام مع النفس ، والسلام مع الناس .

٢٤ ـ أول مَنْ يستحق العفو من الإنسان : نفسه ، فحتى يستطيع الإنسان العفو عن غيره ، لا بد أن يعتاد أولاً : العفو عن نفسه .

ثانياً : التوصيات (المقترحات) :

ـ إعداد برامج توعوية لكافة فئات المجتمع ، تُساهم في تثقيف المجتمع وتوعيته بأهمية العفو وأثره على الفرد والمجتمع . وتُساهم في حل مشكلة غياب العفو عن أسرنا ومجتمعنا .

ـ ولتحقيق أكبر قدر من نجاح التوعية المجتمعية في حل مشكلة غياب العفو عن واقع الناس وحياتهم ، ينبغي أن تتم هذه التوعية بالتنسيق بين مؤسسات الدولة؛ الدعوية، والتعليمية، والإعلامية، والمجتمعية، والدينية.

ـ كما ينبغي أن يُراعى في هذه التوعية التأكيد على ما يلي :

١ ـ تصحيح المفهوم المغلوط عن العفو ، من خلال بيان حقيقة العفو وضوابطه .

٢ ـ توضيح أهمية العفو في حل كثير من المشكلات النفسية والصحية والاقتصادية والاجتماعية ، الناشئة عن غياب العفو عن أسرنا ومجتمعنا .

٣ ـ التأكيد على أهمية دور الأسرة وأهمية التربية في هذا الموضوع .

٤ ـ التأكيد على ضرورة تطبيق العفو داخل الأسرة بين الزوجين ، وبين الآباء والأبناء ، وتوضيح أثر ذلك في استقرار الأسرة ، وإشاعة المودة والرحمة بين أفرادها .

٥ ـ ترسيخ قيمة العفو في نفوس الأولاد منذ صغرهم ؛ وعلى الأسرة والمدرسة الدور الأكبر في هذا .

٦ ـ توعية الآباء والمربين بضرورة تربية الطفل على التسامح والعفو ، وتوعيتهم بمدى خطورة تربية الطفل على ضرورة الانتقام وعدم العفو ، وبما يترتب على ذلك من آثار سلبية على هذا الطفل ، يمتد ضررها إلى المجتمع.

٧ ـ التوعية بمراعاة الفارق في التربية بين تربية الابن على الشجاعة وقوة الشخصية ، وبين تربيته على القسوة والعنف وحب الانتقام .

٨ ـ التوعية بأهمية العفو في خَلْق بيئة ملائمة للتنمية والتقدم والاستقرار.

٩ ـ الاهتمام بالجانب الأخلاقي في التعليم .

١٠ ـ تشديد الرقابة على الأعمال الدرامية التي تؤثر بشكل واضح في المجتمع ، إلى درجة تدفع بعض المتأثرين بهذه الأعمال ، إلى التقليد والمحاكاة والعمل على استغلال هذا التأثير في نشر ثقافة العفو والتسامح .

١١ ـ التأكيد على دور العفو وأثره في وقاية الفرد وحماية المجتمع من شر النزاعات والصراعات .

فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم .

٢. الإتقان في علوم القرآن . تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة : ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

٣. أحكام القرآن .تأليف :القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي . مراجعة وتخريج أحاديث وتعليق : محمد عبد القادر عطا . الناشر :دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان. الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤. أدب الدنيا والدين . تأليف : أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي . الناشر : دار مكتبة الحياة . تاريخ النشر : ١٩٨٦م .

٥. أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب . تأليف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي . تحقيق: سمير حلبي. الناشر : دار الصحابة للتراث ـ طنطا . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٦. أسباب نزول القرآن . تأليف : أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي . تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان . الناشر : دار الإصلاح ـ الدمام . الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٧. إعراب القرآن وبيانه . تأليف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش . الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية . حمص ـ سورية ، دار اليمامة ـ دمشق ـ بيروت ، دار ابن كثير . دمشق ـ بيروت . الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ .

٨. الأعلام . تأليف : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي . الناشر : دار العلم للملايين . الطبعة الخامسة عشر ـ مايو ٢٠٠٢م

٩. البرهان في علوم القرآن . تأليف : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن

بهادر الزركشي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر : دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركائه. الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

١٠. البصائر والزخائر . تأليف : أبو حيان التوحيدي على بن محمد بن العباس . تحقيق : د. وداد القاضي . الناشر : دار صادر ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١١. تاج العروس من جواهر القاموس . تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض . الملقب بـ مرتضى الزبيدي . تحقيق : مجموعة من المحققين . الناشر : دار الهداية .

١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . تأليف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي . تحقيق : عمر عبد السلام التدمري . الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

١٣. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) . تأليف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي . الناشر : الدار التونسية للنشر ـ تونس . سنة النشر ١٩٨٤م .

١٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي . تأليف : أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٥. التذكرة الحمدونية . تأليف : محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي . الناشر : دار صادر ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

١٦. تذكرة الحفاظ . تأليف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي . الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧. التسهيل لعلوم التنزيل. تأليف : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي . تحقيق : د. عبد الله الخالدي . الناشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

١٨.تفسير القاسمي (محاسن التأويل) .تأليف : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي . تحقيق : محمد باسل عيون السود . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

١٩.تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) . تأليف :أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٢٠.تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) . تأليف : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي . تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي . الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢١.تفسير السمرقندي (بحر العلوم) . تأليف :أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي . الناشر : دار الفكر ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م .

٢٢.تفسير الشعراوي (الخواطر). تأليف: محمد متولي الشعراوي. الناشر : مطابع أخبار اليوم . عام النشر : ١٩٩٧م .

٢٣.تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) تأليف :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي . تحقيق : محمد حسين شمس الدين . الناشر : دار الكتب العلمية . منشورات محمد علي بيضون ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ .

٢٤.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . تأليف : د . وهبة بن مصطفى الزحيلي . الناشر : دار الفكر المعاصر ـ دمشق . الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

٢٥.تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) . تأليف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي. حققه وخرَّج أحاديثه : يوسف علي بديوي . راجعه وقدَّم له : محي الدين ديب مستو . الناشر : دار الكلم الطيب ـ

بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

٢٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف د.محمد سيد طنطاوي. الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . الفجالة ـ القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

٢٧. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي . تأليف : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي . تحقيق وتعليق : يوسف على بديوي . الناشر : دار ابن كثير . دمشق ـ بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

٢٨. تهذيب الأسماء واللغات. تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

٢٩. تهذيب اللغة . تأليف : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور . تحقيق : محمد عوض مرعب . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٣٠. التوقيف على مهمات التعاريف . تأليف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري . الناشر : عالم الكتب ـ القاهرة . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م .

٣١. جامع البيان في تأويل آي القرآن . تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري . تحقيق : أحمد محمد شاكر . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) . تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر : دار طوق النجاة . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٣٣. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي . تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش . الناشر : دار الكتب المصرية ـ القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

٣٤. الجدول في إعراب القرآن الكريم . تأليف :محمود بن عبد الرحيم صافي . الناشر : دار الرشيد ـ دمشق ، مؤسسة الإيمان ـ بيروت . الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ .

٣٥. جمهرة اللغة . تأليف : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . تحقيق : رمزي منير بعلبكي . الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. تأليف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. الناشر: مكتبة السعادة. عام النشر : ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م .

٣٧. حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين) . تأليف :الخالديان :أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي . تحقيق : د. محمد علي دقة . الناشر : وزارة الثقافة ـ الجمهورية العربية السورية . عام النشر : ١٩٩٥م .

٣٨. الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء . تأليف: محمود بن إسماعيل بن إبراهيم بن ميكائيل الخَيْرِبَيْتي . الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ـ الرياض .

٣٩. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار . تأليف : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري . الناشر : مؤسسة الأعلمي ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٤٠. الروح . في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسُنَّة . تأليف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤١. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار. تأليف : محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي محيي الدين ابن الخطيب قاسم . الناشر : دار القلم العربي .

حلب . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

٤٢. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . تأليف : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبد التيمي أبو حاتم الدارمي البُستي . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٣. زاد المسير في علم التفسير . تأليف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٤٤. سنن ابن ماجة . تأليف : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسى البابي الحلبي .

٤٥. سنن الترمذي . تأليف : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى . تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض . الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر . الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

٤٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . تأليف :أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٤٧. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال. تأليف : القاضي حسين بن محمد المهدي . راجعه : الأستاذ عبد الحميد محمد المهدي . الناشر : سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة بدار الكتاب برقم إيداع : (٤٤٩) لسنة : ٢٠٠٩م .

٤٨. العين . تأليف : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري . تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي . الناشر : دار ومكتبة الهلال .

٤٩. عيون الأخبار . تأليف : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت . تاريخ النشر : ١٤١٨هـ .

٥٠. فتح القدير . تأليف : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني . الناشر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب . دمشق ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٥١. فيض القدير شرح الجامع الصغير . تأليف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري . الناشر : المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر . الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .

٥٢. القاموس المحيط . تأليف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي . تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة . بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي. الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ـ لبنان . الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

٥٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تأليف : الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري . ط : دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان . الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٥٤. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) تأليف : أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي. تحقيق : عدنان درويش ـ محمد المصري . الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥٥. لسان العرب . تأليف : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي . الناشر : دار صادر ـ بيروت . الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

٥٦. لسان الميزان . تأليف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق : دائرة المعارف النظامية ـ الهند . الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت ـ لبنان . الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م .

٥٧. مجاني الأدب في حدائق العرب . تأليف : رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو . الناشر : مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت . عام النشر

١٩١٣م .

٥٨. المجموع اللفيف . تأليف :أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي . الناشر : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

٥٩. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . الناشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي . تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

٦١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي. الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت. الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٦٢. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . تأليف : أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري . الناشر : إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الجامعة السلفية ـ بنارس الهند . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٦٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ . تأليف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٦٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل . تأليف : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد ، وآخرون .

إشراف : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٦٥. مصارع العشاق. تأليف : جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي أبو محمد . الناشر : دار صادر - بيروت .

٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . تأليف : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس . الناشر : المكتبة العلمية - بيروت .

٦٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) . تأليف : محيي السُنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٦٨. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تأليف :عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . الناشر : عالم الكتب - بيروت .

٦٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) . تأليف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري . الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

٧٠. مقاييس اللغة . تأليف : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . الناشر : دار الفكر . عام النشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٧١. مناهل العرفان في علوم القرآن . تأليف : محمد عبد العظيم الزرقاني . الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٧٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) . تأليف : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي . الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٧٣. الموجز في قواعد اللغة العربية . تأليف : سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني . الناشر : دار الفكر . بيروت - لبنان . تاريخ الطبعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٧٤. الموشى (الظرف والظرفاء) .تأليف : محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب المعروف بالوشاء . تحقيق : كمال مصطفى . الناشر : مكتبة الخانجي، مطبعة الاعتماد ـ مصر . الطبعة الثانية ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٣م .
٧٥. نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار . تأليف : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم . الناشر : دار العباد ـ بيروت .
٧٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تأليف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي . تحقيق : إحسان عباس . الناشر : دار صادر ـ بيروت . تاريخ الطبعة ١٩٠٠م .

فهرس الموضوعات

الموضوع

ـ المقدمة .
ـ التمهيد .
ـ تعريف العفو .
ـ معنى العفو لغة .
ـ معنى العفو اصطلاحًا .
ـ معاني العفو في القرآن الكريم .
ـ العلاقة بين العفو والصفح والمغفرة .
ـ ضوابط العفو.
ـ العفو عند المقدرة .
ـ الفرق بين العفو والذُل .
. الدعوة إلى العفو لا تتنافى ولا تتعارض مع إباحة الإنتصار للنفس .
ـ العفو عن سماحة النفس دون تكلف أو تكليف أو إكراه .
ـ العفو سبيل الإصلاح .
ـ فضل العفو والحث عليه .
ـ العفو صفة من صفات الله تعالى وإسم من أسمائه عز وجل .
ـ العفو خُلق أنبياء الله تعالى ورسله .
ـ العفو من صفات المتقين ومن مقامات الإحسان .
ـ العفو عن الناس سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى ومغفرته .
ـ العفو كفارة للذنوب .
ـ أجر العافي على الله .
ـ العفو صفة يحبها الله ويُحب المتصفين بها .

- أثر العفو على الفرد والمجتمع .
- تعقيب : كلمة إلى المخطئ .
- الخاتمة .
- نتائج البحث .
- التوصيات (المقترحات) .
- فهرس المراجع والمصادر .
- فهرس الموضوعات .